

الأدب الهندي المعاصر

بقلم الدكتور

محي الدين الألواني

الطبعة الأولى - القاهرة

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإشراف الفني

صبحي الشاروني

رقم الإبداع ٤٢٦٨ / ١٩٧٢

دار العلم للطباعة

٤٠ شارع خيرت بالمالية - ت . ٢٠٧٤٠

الدكتور محي الدين الألواني

ولد الدكتور محي الدين الألواني بقرية "وليتناد" بقرب مدينة "ألواني" في ولاية "كيرالا" التي قيل إنها أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في شبه القارة الهندية ، وكانت ولادته في اليوم الأول من شهر يونيو سنة ١٩٢٥ م ، وبعد أن أكمل تعليمه الابتدائي لدى والده الفاضل الشيخ مقار المولوي ، الذي كان عالما جليلا وواعظا دينيا ، واصل دراسته في المعاهد الإسلامية الكبرى في ولايته ، وبعد أن حصل على شهادة "المولوي الفاضل" من الكلية العربية "الباقيات الصالحات" بجنوب الهند ، نال شهادة "أفضل العلماء" عام ١٩٤٩ م من جامعة مدارس الحكومية بالهند ، ثم عين أستاذا في كلية "روضة العلوم" بولاية كيرالا .

وفي عام ١٩٥٠م توجه الدكتور محي الدين الألواني إلى القاهرة ليدرس في جامعة الأزهر . فالتحق بقسم "التخصص" في كلية أصول الدين ونال في عام ١٩٥٣ م شهادة "العالمية مع الإجازة" بتفوق حيث حصل على ٩٣% من مجموع الدرجات الكلي ، وكانت المصادر الأزهرية تقول إن طالبا غير عربي لم يسجل هذا الرقم القياسي من قبل في تاريخ الأزهر الشريف . وأثناء إقامته بمصر كان الدكتور محي الدين يقوم بنشاط علمي وأدبي ، حيث كانت الصحف والمجلات تنشر له مقالات كثيرة في شتى الموضوعات ، وألف في تلك الفترة بعض الكتب باللغة العربية ، وكان يتولى حينذاك منصب رئيس التحرير لمجلة " البعوث" لسان حال البعثات العلمية في القاهرة ، وخلال إقامته بمصر أحرز خبرة واسعة في الشؤون التربوية والثقافية في بلاد غرب آسيا .

وفور عودته من القاهرة في عام ١٩٥٥م عين مديعا باللغة العربية في إذاعات عموم الهند بدلها ، وكان في نفس الوقت يواصل النشاط العلمي والأدبي في "مجلس الهند للروابط الثقافية" ، و"أكاديميات الآداب الهندية" ، ووضع مؤلفات في اللغات الهندية والعربية وترجم بعض الكتب العربية إلى اللغات الهندية والعكس .

وأن إقامته في "دلهي" عاصمة الهند ، لفترة طويلة قد أتاحت له الفرص لتوثيق الصلات بالأدباء والكتاب الهنود من سائر المقاطعات في شبه القارة الهندية وقد أصبح ملما بثتى المدارس الفكرية في الشرق والغرب ، وصار بمثابة مرجع لأديان الهند وثقافتها وآدابها المتعددة .

وإلى جانب هذا النشاط الكبير كان يقوم بثتى الوسائل الممكنة، بنشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية في ربوع الهند ، ويسعى لتوثيق الروابط العلمية والثقافية بين الشعبين الهندي والعربي وساهم في وضع برامج لفتح مراكز للدراسات العربية والإسلامية في بعض الأماكن الآهلة بالمسلمين .

ومرة أخرى في أواخر عام ١٩٦٣ م عاد الدكتور محي الدين الألوائي إلى القاهرة ومعه أسرته لاستكمال دراسته في قسم الدكتوراه بالأزهر ، بغية إحراز مزيد من التمكن في اللغة العربية وآدابها وعلومها ، ورغبة في تكوين أسرة هندية مثقفة بثقافة عربية إسلامية لتكون عوناً في سبيل خدمة اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية في المجتمع الهندي .

وعندما قرر الدكتور محي الدين الألوائي العودة إلى جمهورية مصر العربية مع أسرته ، تولى الفيلسوف الهندي الكبير الدكتور رادها كريشنان – رئيس جمهورية الهند حينذاك – نفقات سفره هو وأسرتهم بالطائرة من دلهي إلى القاهرة – تقديراً منه لخدماته العلمية ونشاطه الأدبي ولمكانة الأزهر الشريف – ولأول مرة في التاريخ يتولى رئيس الدولة الهندية بنفسه نفقات سفر عالم بأسرته للالتحاق بجامعة فيما وراء البحر ، كما أنه لأول مرة في التاريخ يخرج عالم ويجعل معه أولاده وزوجته ويترك مناصبه ونعيم العيش في سبيل متعة الدرس وتحصيل العلوم ويتوجه إلى منبع الثقافات الإسلامية والعربية . ثم التحق الدكتور محي الدين الألوائي بالدراسات العليا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ونجح في امتحان التخصص في فترة يوليو عام ١٩٦٥م بتقدير ممتاز . ويعتبر أول مبعوث ينجح بهذا التفوق منذ إنشاء قسم الدراسات العليا بجامعة الأزهر .

ومنذ عام ١٩٦٤م انتدب الدكتور محي الدين الألوائي مدرسا بكلية الطب بجامعة الأزهر لتدريس مادة الدراسات الإسلامية (باللغة الإنجليزية) ، وفي عام ١٩٦٥م اختير لتدريس نفس المادة

بكلية البنات الإسلامية بمصر . وقد وضع الدكتور محي الدين كتابا باللغة الإنجليزية بتكليف من بعض كليات الأزهر وهو يشمل المنهج المقرر للدراسات الإسلامية (باللغة الإنجليزية) فيها ، من المبادئ الإسلامية والردود على الشبهات التي تثار حول الإسلام ، والدعائم التي تقوم عليها الدعوة الإسلامية ، لكي يتمكن الطالب من شرح الإسلام كما يجب في البلاد الناطقة باللغة الإنجليزية . وهذه هو أول مرة في تاريخ الأزهر تدرس فيه العلوم الإسلامية باللغات الأجنبية .

ومنذ أن تولى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري منصب مدير جامعة الأزهر في عام ١٩٦٤م اختار سيادته الدكتور الألوائي ، كعضو في مكتبه بالجامعة . وفي عام ١٩٦٧م انتدب عضوا في لجنة الامتحانات لاختيار مبعوثي الأزهر إلى غرب آسيا .

وفي عام ١٩٦٤م نفسه اختارته مجلة الأزهر مشرفا على القسم الإنجليزي بها . وكان الأستاذ الألوائي يحرر مقالات دورية باللغة العربية لعدد من كبريات مجلات العالم العربي ، ومنها : مجلة الأزهر (لسان حال مشيخة الأزهر) :

- الفلسفات الشرقية .
- المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين .
- منبر الإسلام (تصدر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .
- أضواء على التاريخ الإسلامي .
- مكانة فلسطين في العالم الإسلامي .
- الرسالة (من المجلات التي كانت تصدرها وزارة الثقافة بجمهورية مصر العربية) .
- وكان يرأس تحريرها الأديب الكبير المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات :
- الآداب الشرقية .
- الأدب الهندي المعاصر .
- صوت الشرق (تصدر من مكتب استعلامات الهند بالقاهرة)
- الموضوعات الهندية .
- شخصيات إسلامية من الهند .

ومن مؤلفاته :

في اللغة العربية :

- ١ - الإسلام وتطورات العالم .
- ٢ - الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية .
- ٣ - الإسلام ومشاكل العالم الإنساني .
- ٤ - رواية "شمين" (جمبري) رواية هندية مترجمة ، طبع :مجلس الهند للروابط الثقافية - نيودلهي.
وهي أول رواية هندية تنشر باللغة العربية .

في لغة ملايالم :

- ٥ - "عرب لوكام" (العالم العربي) .
- ٦ - كتاب الهند للبيروني (مترجم عن العربية ، طبع : أكاديميات الآداب الهندية - نيودلهي) .

في الأوردية :

- ٧ - عرب دنيا . طبع : ندوة المصنفين بدلهي .

في الإنجليزية :

- ٨ - جواهر الإسلام ج (١) .
- ٩ - جواهر الإسلام ج (٢) . طبع مكتبة الإنجلو المصرية بالقاهرة .
- ١٠ - الأزهر - نبذة عن تاريخه (كتيب) .

وبالإضافة إلى هذا الكتاب (الأدب الهندي المعاصر) الذي يتناول فيه بالبحث والتحليل جميع اللغات الهندية وآدابها . فإنه يعد الآن كتابين ، الأول : في الديانات الشرقية القديمة ، والثاني : عن الآداب الشرقية المعاصرة ، ليكونا مرجعا لطلاب الملل والنحل ودارسي ثقافات الأمم الأخرى وآدابها .

وحصل على الدكتوراه في اللغة العربية عام ١٩٧١ م من رسالة موضوعها "الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية" ، وصار هذا الموضوع عوناً على فتح باب جديد في دراسة الأديان القديمة ، الوضعية والسماوية ومقارنتها ، ولمعرفة الدور الهام الذي لعبه الدعاة العرب في نشر الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية وحواليها في مختلف العصور . وتعتبر أول رسالة علمية جامعية تقدم في هذا الموضوع باللغة العربية . وهي تلقى أيضاً الضوء على حاضر الإسلام ومستقبله في الهند الحديثة .

وكان الشاعر العربي المعروف " بشاعر آل البيت " الأستاذ محمود جبر قد ألقى قصيدة عامرة تهنئة للدكتور محي الدين الألوائي في حفل الاستقبال الذي أقامه "صالون الفن والثقافة" بالقاهرة يوم ١٩٧١/٩/١٢ م بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، ومنها قوله :

كذلك نال أخي الألوائي بغيته	والشعب في مصر أو في الهند منتظر
دكتورنا يا فتى "الألوائي" أسعدنا	هذا النجاح وهذا الفوز والظفر
محي ! وأنت سفير الهند في خلق	للأزهر اليوم حق فيك مدخر
فاجعل رسالته نبراس منهجهم	فحن بالعلم والإيمان ننتصر
أحرزت نجحك بالتقدير من فئة	هم الأساطين والأعلام إن ذكروا
أرجو بما نلت من علم ومن ثقة	تكون بلسم أدواء لمن جاروا
فالشرق يا عالم "الألوائي" ينقصه	هنا الشباب القوي الثابت الحذر

ومنذ عام ١٩٧٠م يتولى الدكتور محي الدين الألوائي منصب رئيس تحرير مجلة "صوت الهند" التي تصدر عن سفارة الهند بالقاهرة .

ولا شك في أن إقامته في القاهرة ، عاصمة العالم العربي والإسلامي ، تساعده على تحصيل المزيد من المعرفة والخبرة بالنشاط التربوي والثقافي في العالم العربي ومعاهده وجامعاته ، وتمكنه من توثيق الصلات الشخصية بالأساتذة والكتاب والعلماء في مختلف الميادين العلمية والثقافية ، حتى يكون ذلك عوناً له على تحقيق أهدافه العلمية والأدبية وعلى توثيق عرى التعارف والتفاهم بين علماء الهند والعالم العربي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قديمًا قيل : "إن الهند ملخص العالم " فإنها مجمع أجناس شتى ، وملتقى أديان كثيرة ، ومنبت لغات عديدة . وهي من ناحية الاتساع أقرب إلى أن تكون قارة كاملة . فحجمها يساوي القارة الأوربية كلها ، أي تساوي مساحتها عشرين مرة قدر مساحة بريطانيا . فالهند اليوم أولى دول العالم في تعدد الأديان واللغات ، وثانية دول العالم في عدد السكان ، وثالثة دول العالم في عدد المسلمين . وهذه الضخامة المساحية وتنوعها الطبيعي والجغرافي أنشأ فيها تنوع الأجناس واللغات واللهجات . وجدير بالذكر أن دراسة لغات قوم وآدابهم وفنونهم تلعب دورا حيويا في دراسة نفسياتهم وآرائهم الدينية والفكرية .

والهند منذ القدم تعكس صورة اجتماعية معقدة وغريبة ومخلوطة بأجناس وسلالات وعناصر ثقافية وحضارية مختلفة ، فهناك تجتمع خلاصة السلالات البشرية كلها ، ومنها السلالات البدائية الثلاث : القوقازي أو الصنف الأبيض مع ما يميل منه إلى اللون الأشقر والأسود ، والمنغولي أو الجنس الأصفر ، والحبشي أو الصنف الأسود ، ويشمل هذا التقسيم العام ، الأجناس التالية الثمانية :

١ - الجنس الأصلي من سكان الهند قبل "الدرافيديين" : ويتميز هذا الجنس بقصر القامة و عرض الأنف وينحصر الآن في القبائل المختلفة الموجودة في أذغال الهند .

٢ - الجنس الدرافيدي : وهو يتميز بقصر القامة والبشرية السوداء و غزارة الشعر وطول الرأس و عرض الأنف ، وهم الآن يقطنون بكثرة في مناطق جنوب الهند ، مثل تامل نادو (مدراس) و"اندهرابراديش" و"كيرالا" و"ميسور" .

٣ - الجنس الآري : ومركزه في شمال الهند وخاصة في كشمير وبنجاب وراجبوتانا ، ويتميز بطول القامة وشقرة البشرة و غزارة الشعر على الوجه وطول الرأس ودقة الأنف البارز .

٤ - الجنس التركي الفارسي : ويقطن هذا الجنس عموما في المناطق الواقعة غربي نهر "إندس" مثل الحدود الشمالية الغربية وبلوجستان ، ويتميز برأس عريض وأنف طويل وبشرة شقراء.

٥ - الجنس السيتي - الدرافيدي : ويتركز في مناطق شرقي إندس ، مثل السند وكجرات ، وفي المناطق الغربية الأخرى في شبه القارة الهندية ويتميز بطول الرأس وقصر الأنف ، وقد انحدروا إلى الهند من غربي آسيا وإيران إلى غربي الهند كما فعل الدرافيديون .

٦ - الجنس - الآري الدرافيدي : ويعرف هذا الجنس بلقب "الهندستاني" وهو منتشر في الأقاليم الهندية الوسطى، وبيهار وشرقي البنجاب ، ويتميز بطول الرأس ولونه أسمر وقامته دون المتوسط ، وينحدر من جنس آري اختلط مع الدرافيدي .

٧ - الجنس المنغولي : في مناطق آسام وسفوح الهيمالايا وفي بعض نواحي كشمير وبنجاب ، وكذلك في نيبال وبهوتان . ويتميز بالرأس العريض والبشرة الصفراء وقلة الشعر على الوجه وقصر القامة والوجه المسطح وجفون العيون المائلة ، دخل هذا الجنس إلى الأراضي الهندية نتيجة للفتوحات المنغولية من التبت والصين .

٨ - الجنس البنغالي : وموطنه الآن في بنغال وأوريسا ، وهو متميز برأس عريض وبشرة غامقة وشعر غزير على الوجه وقامة متوسطة وأنف مائل إلى العريض . ويطلق على هذا الجنس أيضا اسم المنغولي - الدرافيدي .

وهذا التنوع في الأجناس قد أحدث بطبيعة الحال تنوعا في اللغات واللهجات في البلاد . ويدل الإحصاء الرسمي عن لغات الهند الصادر في سنة ١٩٣١م على أنها قد بلغت مائتين وخمسا وعشرين لغة حية متمثلة في أربعة مجموعات رئيسية من اللهجات البشرية وهي : الآستيرية ، والصينية - التبتية ، والدرافيدي ، والهندية - الآرية . وقد تركز النطق الدرافيدي في جنوب الهند في لغات : تامل ، ومليالام ، وتلوجو ، وكنادية . ويسيطر النطق الهندي - الآري - في اللغات السائدة فيما بين مناطق جبال الهيمالايا وجبال فينديا ، من خليج البنغال شرقا إلى بحر العرب غربا .

وفي عام ١٩٤٧م نال شبه القارة الهندية استقلاله من الحكم الإنجليزي ، وقسم إلى دولتين مستقلتين ، الجمهورية الهندية والجمهورية الباكستانية . ولم تلبث الجمهورية الهندية أن أدركت أهمية النهضة الأدبية والثقافية والعلمية في تطوير حياة الشعب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فاتخذت خطوات سريعة وواسعة للنهوض بلغات الهند وآدابها وفنونها ، ونشر الوعي الثقافي العام في الشعب بطريقة تتفق مع نهضة الهند العصرية ومجدها الماضي في العلوم والآداب والفنون والفلسفة والحكمة .

واعترف الدستور الهندي بأربعة عشرة لغة من اللغات الهندية المحلية كلغات رسمية ووطنية ، على أن تحل اللغة " الهندية" المكتوبة بحروف "ديوناكري" محل الإنجليزية لشؤون الدولة الرسمية الرئيسية في الوقت المناسب الذي يختاره الشعب الهندي الناطق بعدة لغات محلية ، بطريق الحكومات المحلية والبرلمان المركزي طبقا للدستور . وأما اللغات الأربع عشرة الوطنية الدستورية في الهند فهي :

- ١ - السنسكريتية
- ٢ - الهندية
- ٣ - الأوردية
- ٤ - التاملية
- ٥ - البنغالية
- ٦ - الكجراتية
- ٧ - المراتية
- ٨ - البنجابية
- ٩ - تلوجو
- ١٠ - كانادية
- ١١ - مليالام
- ١٢ - الآسامية
- ١٣ - الأورية
- ١٤ - الكشميرية .

وجدير بالذكر أن كلا منها لغة حية ذات كيان خاص ومستقل ، وغنية بالذخائر العلمية والأدبية، ولها آدابها وقواعدها وأساليبها وتواريخها المتطورة . وهذه اللغات وآدابها تمثل حياة الشعب الهندي العظيم ومشاعره تمثيلا حقيقيا في شتى المجالات ، كما أنها تنطوي على ذخائر علمية وأدبية وفنية وثقافية وحضارية لا يستغنى عنها باحث عن التيارات الفكرية للأمم الأخرى ودارس للغات وآداب وفنون الشعوب الصديقة النائية والقريبة .

ولست بمبالغ إذا قلت إنه من دواهي الأسف والدهشة معا أن المكتبة العربية لم تحظ بعد بكتاب جامع يتناول لغات الهند وتاريخها وتطوراتها وآدابها على منهج علمي منظم إلا بعض القصص المترجمة من هنا وهناك ، ومقالات تنشر بين الحين والحين وهي تمر مر الكرام بذكر عام عن بعض نواحي آداب الهند وفنونها ، وبعض رجالاتها المعروفين.

فنظرا للحاجة الملحة لوضع كتاب باللغة العربية يتناول لغات الهند وتاريخها وتطوراتها وآدابها، وتذبيلا لطرق البحث والدراسة أمام الباحثين في اللغات والآداب والفنون الهامة ، عقدت عزمي على أن أضع مؤلفا يتناول اللغات الأربع عشرة التي نص عليها الدستور الهندي ، على أن تكون لغات وطنية رسمية في الجمهورية الهندية ، ولم يكن هذا العمل سهلا المنال لسعة شقة الاختلاف بين لغة وأخرى في نشأتها وعناصرها وعوامل تطورها . فضلا عن أن كلا منها يعتبر في ذاته موضوعا يستحق كتابا مستقلا . ومما زاد الطين بلة ، تناثر المصادر والمراجع في لغات عديدة ، وفوق هذا وذاك رغبتى الملحة في أن يكون هذا الجهد المتواضع إضافة جديدة إلى المكتبة العربية ومقبولة لدى رجال العلم والأدب .

وإلى جانب تجاربي الشخصية وخبراتي القريبة بالاتصال مع أصحاب هذه اللغات وأدبائها وكتابها ، وبالاطلاع على آدابها وعلومها وفنونها ، قد استغنت بعدد كثير من المصادر الأصلية والمراجع الهامة ، في مختلف اللغات الهندية والأجنبية ، واسترشدت بها (كما هو واضح من فهرس المراجع) كما أنني حاولت توضيح أقاليم كل لغة بأحدث خريطة للجمهورية الهندية .

وقصارى أملى أن يكون هذا الجهد المتواضع مساهمة حقة في خدمة العلوم والآداب وإضافة جديدة إلى المكتبة العربية ، والله ولي التوفيق .

محي الدين الألواني

لغات الهند وأقاليمها

لغة هندية كلاسيكية ، وهي تعتبر بمثابة أم لغات الهند المختلفة.	السنسكريتية	- ١
اللغة الرسمية الرئيسية لدولة الهند وهي منتشرة بصفة خاصة في ولايات : أوترا براديش ، مدهيا براديش ، بيهار ، راجاستان .	الهندية	- ٢
إحدى اللغات الهندية المعروفة والمتداولة بصفة خاصة في مناطق : لكهنو ، وبهوبال ، وحيدر آباد ، وميسور ، وكشمير وغيرها	الأوردية	- ٣
تامل نادو (مدراس) .	التاملية	- ٤
بنغال	البنغالية	- ٥
كجرات	الكجراتية	- ٦
مهاراشترا	المراتية	- ٧
بنجاب	البنجابية	- ٨
آندھرا براديش	تلوجو	- ٩
ميسور	كانادية	١٠
كيرالا	مليالام	١١
آسام	الآسامية	١٢
أوريسا	الأورية	١٣
كشمير	الكشميرية	١٤

السنسكريتية

يرجع تاريخ اللغة السنسكرتية في القارة الهندية إلى أربة آلاف سنة مع أن أقدم الآداب الهندية في هذه اللغة الكلاسيكية هو الكتاب المعروف " ركفيدا " ويعتبر أقدم الكتب عن سلالة الأريين بأكملها ، وبدأت السنسكرتية تبتث نفوذها وترسل شعاعها إلى مناطق آسيا الوسطى والشرق الأقصى منذ القرن الأول قبل الميلاد بطريق "البوذية" . ومنذ القرن الثاني للميلاد صارت اللغة السنسكرتية مطية للثقافة الهندية إلى جنوب شرقي آسيا ، ومنحت لهذه البلاد تراثا مليئا بالتمثيلات والروايات والأشعار والموسيقى والرقص والنحت ، وهكذا لم تعد للسنسكرتية عامل التجانس للقارة الهندية فقط، بل جعلت الشرق الأقصى وجنوب شرقي آسيا تحت تجانس ثقافي متين . وخلال هذه الفترة الذهبية، تركت السنسكرتية أثرا فعالا في جميع الميادين الأدبية والفلسفية والفنية والعلمية وغيرها .

ومن بواعث الأسف الأدبي أن صفحات مجيدة من الأدب القديم ما زالت في غياهب الجهل والإهمال ، في المخطوطات السنسكرتية المحفوظة في مختلف المكتبات الأثرية ، مع أن جزء كبيرا منها قد فقد على مر العصور وملحات الزمن ، ولم يبق في أيدينا منها إلا ما طبع أو تناقلته الألسنة جيلا بعد جيل ، ولا يستطيع أحد أن ينكر النظام الفلسفي والتمثيلي والروائي الذي ينطوي عليه الأدب السنسكرتي القديم مثل "أوبانيشات" و"جيتا" وغيرهما من التراث الهندي الذي صار جزءا هاما للفكرة العالمية . وأما الأساطير السنسكرتية ، فلم تشجع آداب اللغات المحلية فقط . بل أوجدت بفضل شخصياتها الروائية والمبادئ الإنسانية ، نظريات قيمة وأفكارا وطنية وقواعد خلقية . وتعتبر تمثيلات "كالداس" و "سدراكا" وأشعارهما في المكانة الأولى في هذا الحقل الزاهر .

أثر السنسكرتية في اللغات الأخرى

ومن الميزات التي تركتها اللغة السنسكرتية في اللغات الهندية الأخرى أن كل كاتب أو خطيب عندما يصل إلى قمة الأساليب الأدبية في اللغة التي يتناولها ينساق إلى اقتباس كلمات أو فقرات من الآداب السنسكرتية الخالصة ليزيد ما يقوله روعة وبهجة ، وقد صارت السنسكرتية أداة مشتركة لا يمكن الاستغناء عنها لكاتب أو أديب في أية لغة محلية أخرى . ويمكن أن يقال بأن الوعي الجديد

الذي ساد الهند بعد الاستقلال يرجع الفضل الكبير فيه إلى التراث القديم الزاهر للبلاد المنبعث من أعماق الآداب السنسكريتية ، وكذلك الروح التي تلعب وراء الإنتاج الأدبي الحديث للسنسكريتية ، ولو كانت اللغات الأخرى المحلية ، هي الواسطة المباشرة .

وتمتاز الآداب السنسكريتية الكلاسيكية القديمة بجميع أنواعها جودة الأسلوب ، ودقة المعاني ووفرة الخيال والتشبيهات الخصبة الجذابة . وبلغت التمثيليات السنسكريتية أوجها في اختيار الشخصيات الروائية والمشاهد والمحاورات الكلامية ، بحيث تداني تماما التمثيليات والمسرحيات العصرية ، وأن فن " التحسينيات " السنسكريتية المعروفة باسم "أنكارشاسترا" لتساعد مساعدة فعالة في سبيل النهوض بالآداب الحديثة للغات المحلية الهندية العديدة . ومن هذه الناحية لا نرى مانعا من القول بأن السنسكريتية لها جذور متأصلة في عالم الآداب وأثر كبير في اللغات المختلفة ، وإن لم تكن معدودة الآن في مقدمة اللغات الحية الحديثة .

والآداب السنسكريتية حية خالدة إلى يومنا هذا في طيات الكتب الدينية الهندوسية المعروفة بـ "فيداس" والكلاسيكية الهندية الأخرى العديدة ، والأسلوب الأدبي الرائع لهذه المؤلفات القيمة والقواعد اللغوية والقوانين النحوية وطرق الإنشاء في التمثيليات السنسكريتية القديمة يدل على أنها كانت في تلك العصور المديدة لغة حية شائعة في أوساط الشعب والميادين العلمية والأدبية والدينية . وفي الوقت نفسه كانت تحتل مكانة اللغة الرسمية والثقافية .

وتتحدّر معظم اللغات الهندية المحلية من أصل سنسكريتي ولا تزال نقطة الالتقاء بين هذه اللغات الإقليمية المختلفة ، وليس من المبالغة في شيء أن يقال بأن اللغة السنسكريتية تلعب دور العامل الفعال في خلق ثقافة مشتركة ووحدة أدبية في شتى أنحاء القارة الهندية ، فإننا نرى الأصول السنسكريتية متمكنة في القواعد النحوية والتراكيب اللغوية بعدة لغات هندية محلية ، سيما اللغات الشائعة في جنوب الهند مثل "مليالام" و "تلوجو" و "كانادية" و "تاملية" والحروف اللهجائية لها جارية على أصول اللهجائية السنسكريتية نفسها ، بل أن هذه اللغات سيما "مليالام" و "تلوجو" مزيج من السنسكريتية واللهجات المحلية .

أثر اللغات الأخرى في تطوراتها

إن شأن السنسكريتية في الأخذ والعطاء ، شأن اللغات العالمية الأخرى ، وتبدو من تاريخ تطورات هذه اللغة خلال العصور الطويلة وخصوبتها ونموها ، الانطباعات الخارجية الطارئة عليها، والأثر الذي تركته اللغات المعاصرة الأخرى في مختلف الميادين الأدبية والألفاظ والأوزان والبحور والمصطلحات الأخرى ، وكما أنها تلقت واحتضنت في حبرها التقاليد والأشكال والمظاهر التي كانت تسود المناطق التي احتلتها بنفس الروح التي منحت الكثير للغات الأخرى ، واعتقدت السنسكريتية – إذا صح هذا التعبير – في مبادئ التعايش العلمي القائلة : "عش ودع الغير ليعيش " ورأت عناصر الجمال في الثقافات العالمية كلها .

وامتازت اللغة السنسكريتية بمقدرتها على الذبوع في جميع أنحاء الهند ، وبث أجنحتها في أوساط اللغات المحلية كلها مع الاحتفاظ بقيمها وقيم شقيقاتها ، بعيدة عن التصارع أو التنافس ، وكان الكتاب السنسكريتيون يلمون باستمرار بالحوادث المعاصرة لكي يستفيدوا من كل حدث هام بحرية كاملة ، وفي العصور الأولى استفادوا من اليونان والروم خصوصا في الرياضيات ، وفي الأيام المغولية تعلموا الفارسية وترجموا منها ومن العربية ، بحيث نشأ لديهم امتزاج سنسكريتي – فارسي وطيد الأركان ، ومزجوا العناصر التي أخذوها من الخارج بالأساليب السنسكريتية الأصيلة مع الاحتفاظ بشخصيتها الخاصة ، وفي العصور الإسلامية الذهبية اشتدت روابط السنسكريتية مع بلدان غرب آسيا ، إذ قام الخلفاء العباسيون بنقل العلوم الطبية والرياضية والحسابية إلى العربية ، ومن المؤلفات الهندية السنسكريتية القديمة المنقولة إلى العربية ، والمتداولة إلى الآن بكل ذبوع وانتشار "كليلة ودمنة" ترجمة "بنج تنتيرا" وأما الغرب فقد أخذها بطريق التراجم العديدة القيمة التي رعاها العرب ، ويمكننا أن نقول الآن بأن الاتصالات الأوربية الجارية في العصور الحديثة بمثابة استئناف لعلاقات الهند الفكرية القديمة مع أثينا والاسكندرونه وروما وبلدان البحر الأبيض المتوسط الأخرى ، ودخل الأدب السنسكريتي في مرحلة جديدة نتيجة لازدياد النفوذ الأوربي الحديث ، سواء في ذلك المناهج التعليمية والنظم الإدارية والميادين الفكرية والأساليب الأدبية .

النقد الأدبي

من ميزات اللغة السنسكريتية أنها كانت تصرف اهتماما خاصا - منذ القدم - في دراسة تاريخ الآداب السنسكريتية حتى في المكاتب التعليمية القديمة ، ومن هذه الناحية بلغ النثر السنسكريتي درجة ممتازة في ميدان فقه اللغة وتاريخ الآداب السنسكريتية . ولـ "راجا راجا ورما" مؤلف قيم عن اللغات الهندية - الأوربية، ويمكن أن يعد العصر الذي قضاه الأدب السنسكريتي فيما بين عامي ١٩٢٥ - ١٩٥١م عصر الحركات الجديدة في الميادين الاجتماعية والدينية والفلسفية ، ومنذ أن بدأ الهنود يلتقطون طرق الحياة الأوربية وعمت الرحلات الخارجية وأخذت الإصلاحات الاجتماعية والدينية طريقها في المجتمع الهندي ، قام الهندوس الأرثوذكسيون لحفظ التقاليد والطقوس الهندية القديمة ، فلم يأل "البانديت" - رجل الدين الهندوسي - جهدا في الكتابة ضد الرحلات في الخارج ، والزواج الحر ، وزواج الأرملة وغيرها من التقاليد التي يتمسك بها الهنادك القدامى . وأتت حركة "أرياسماج" التي دعت إلى العودة إلى صفوة مبادئ الديانة "الويدية" الهندوكية ، وساعدت هذه الحركة على نشر التعاليم السنسكريتية ووضع عدة كتب مدرسية في هذه اللغة ، وصدرت عدة مجلات دينية أدبية تدعو إلى التمسك بالتقاليد الهندية القديمة ونشر مؤلفات الأدباء السنسكريتيين وتعارض السير قدما بتيار الإصلاحات الدينية والاجتماعية الذي كاد يكتسح البلاد بسرعة فائقة . وهذا لا يؤدي إلى إنكار الدور الذي لعبه بعض الأدباء السنسكريتيين المتتورين في ميدان تحقيق أهداف هذه الإصلاحات الجارية في أنحاء العالم .

التواريخ الشخصية

إذا نظرنا بعين التحقيق نرى فرقا دقيقا في الأساليب المتبعة قديما وحديثا في وضع التواريخ الشخصية ، لأن الأدب القديم في التواريخ (السير) الذاتية كان يتناول - إلى جانب حياة الشخص المعنى وطرق عيشه - الحالة السائدة في زمنه والظروف المحيطة به والبيئة التي عاش فيها . ليكون بمثابة جولة شاملة تاريخية في ذلك العصر . وأما الأسلوب الحديث في هذا المضمار فينحصر

في معالجة الحوادث والظروف المحيطة بشخصية معينة ، بناء على أن الكاتب العصري يفرق بطريقة علمية بين شتى أنواع التاريخ وفروعه من العلمي والديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها . وفي التواريخ الذاتية أيضا يتنوع في اختيار الشخصيات من العلماء والشعراء والأدباء والساسة الكبار والمصلحين الدينيين أو الاجتماعيين .

من التواريخ الشخصية الشهيرة في السنسكريتية "شيووا راجا وجيا" للكاتب المعروف "أميكادتا وياسا" من جيبور عن تاريخ حياة "شيواجي" و "بهارتا ويرا رتنا مالا" للمؤرخ "سرى بدا شاستري هسوركار" عن عدد من أبطال الهنود مثل "بريتوي راج" و "شيواجي" و "رانا برتاب سنغ" وكتاب "سيكهرم شاستري" عن "رارني أهليا باي" في منظومة سنسكريتية . هذا إلى جانب عدة مقالات ورسائل كتبت عن تواريخ عائلة معينة أو شخصية خاصة ، تتناول بعض النواحي من نشاطها السياسي أو العلمي وما إلى ذلك .

وصار الصوفيون والنسك أيضا من مختلف أنحاء البلاد موضوع المؤرخين ، جماعات أو فرادى ، حيث ترى مؤرخا يكتب عن عظيم من هؤلاء ، ويحاول الآخر الكتابة عن جماعة منهم أو الذين ينتمون إلى مذهب بعينه ، ومثلا وضعت الكاتبة السنسكريتية من ولاية ميسور "المالما" كتابا قيما عن "بوذا" ودعوته في أسلوب جذاب سهل المنال باسم "بدها جرتامريتا" بينما نجد "هسوركان" قد ألف كتابا جامعا عن "ولبها جاريا" و "رام داس" باسم "بهارتا سادهو رتنا مالا" وقدم "كاليهار داسا واسو" تاريخ حياة كل من "سرى جيتينا" ومعاصره "أدواتيا" في نثر خلاب سلس ، وأما الكاتب القدير "أكيلا فندا سرما" فقدم تواريخ زعماء الديانات الجدد كلهم في كتابه المعروف عن حياة "ديانندا" وسماه "ديانندجوجيا" وقام عدد من المؤرخين بوضع كتب طويلة عن علماء البلد وأدبائه في مختلف العصور ، فكتب "جنديرا بهوش سرما" عن حياة الأديب السنسكريتي الشهير "بجناراما" من بنارس ، ووضع "نارايانا شاستري" كتابا شاملا عن حياة خمسة من مشاهير الأدباء ، بينما نشرت المجلة الأدبية السنسكريتية المعروفة "سنسكرتا جنديركا" سلسلة مقالات تاريخية وأدبية عن أبرز الأدباء في اللغة السنسكريتية قديما وحديثا ، وأما السير الذاتية فلم تتمكن من الأدب السنسكريتي إلا في السنين الأخيرة ، وكتب الأديب "درجانندسوامي" تاريخ حياته باسم "وديوديا"

ومن السير الذاتية الصادرة في السنين الأخيرة "إشورا درشنا" لسوامي تيپولم " من "مالابار" بولاية "كيرالا" وهو الآن يقيم في صومعة بمنطقة الهيمالايا .

وطرق الأدب السنسكريتي باب التقدم الذي أحرزه بعض جهات البلاد بفضل حكامها البارزين ، فوضعت القصائد والقصص في اللغة السنسكريتية عن الفقيه "كريشنا راجا" ، مهاراجا "ميسور" الذي نالت الولاية في عصره نهضة شاملة في شتى الميادين ، وكذلك عن مهاراجا "راما ورما" في إمارة "كوتشين" و "كنجان واريار" المطبوعة في عام ١٩٣٠ م . وأما آخر مهاراجات كوتشين فقد وضع عدة مؤلفات بنفسه في اللغة السنسكريتية.

العلوم الحديثة

منذ انبثق فجر العصر العلمي الحديث ، وبدأ الجيل الجديد يتوق للري من مناهله العذبة ، جرى تيار من أذهان الكتاب السنسكريتيين عن ضرورة إدخال العلوم الحديثة ومنافعها ونجاحها في ميدان اكتشاف المواهب الكامنة في الهيكل الإنساني لصالح البشرية ونفعها العام ، إلى قلوب الذين لم ينالوا قدرا وافيا من الدراسة الإنجليزية . ولعبت المجالات السنسكريتية مثل " سنسكرتا جنديكا" لأباشاستري و"ساه" دورا نافعا في تحقيق هذا الهدف النبيل . وكتب "التورراما سوامي شاستري" و "يوجاديانا مسرا" رسالتين عن الهندسة ، بينما كانت مجلة "ساه" تنشر مقالات متتالية عن شتى فروع العلوم الحديثة مثل الرياضيات ، والكيمياء ، والفلكيات ، والحساب ، وعلم الإنسان ، والاختراعات العديدة العصرية ، ووضع "ونكتارامانيا" من ميسور مؤلفا قيما عن الكتاب الهنود القدامى في العلوم والفلسفة . وتقف ميسور في مقدمة المناطق التي تبرعت بمؤلفات ذات قيمة كبرى في بحث علمي دقيق من الاكتشافات والاختراعات العصرية في اللغة السنسكريتية ، وبينما نرى أشخاصا كتبوا كثيرا عن التقدم العلمي الغربي ، نجد اناسا يقصون الفشل الذي منى به العلم الحديث في ميدان البلوغ إلى غاياته المطلوبة واكتشاف أسرار الحياة الإنسانية .

ومن المؤلفات السنسكريتية الموضوعية في العلوم الحديثة "براتيكا شريرا" في علم التشريح لمؤلفه "كاوي راج جننات سن" (١٩١٩م) و"سدهانتا فدانا" في علم الأمراض ، لنفس المؤلف

(١٩٢٢م) . وكتب أطباء "أيور ويدا" في مالابار مؤلفات هامة في ذلك الموضوع بطريقة حديثة علمية ، فوضع وي . أن "ناير" "أنجراها ميما مسا" في نظرية الجراثيم (١٩٣٨م). ويتناول أطباء يخرون مثل ك . أس . مهاسكر ، وأن أس واتوا ، في "سواسيتا ورتيا" المواضيع التي تتعلق بالصحة وطول العمر . وقام "كاشيكار" من بونا ، ببحث طويل عن منشأ "أيورويدا" وتطوراته وتقلباته خلال العصور الطويلة التي مرت عليه ، وطبع كتابه القيم في هذا الموضوع "أيور ويدا بتارثها وجنانا" في عام ١٩٥٣ م .

القصص القصيرة في السنسكريتية

إن فن القصص القصيرة ليس بجديد في الأدب السنسكريتي ، وكتاب "بنج تنترا" مثال حي لانتشار هذا الفن في الآداب الهندية القديمة . ولكن نظرا للشكل الحديث الذي يمتاز به اليوم ، قد صارت السنسكريتية مدينة للآداب الغربية ، ومنذ انبثق فجر العصر الحديث بدأت القصص القصيرة بأساليبها الحديثة ومواضيعها العصرية تأخذ مكانة مرموقة في الأدب السنسكريتي وفي مسابقات القصص القصيرة المعقودة في "ناكبور" و"مدراس" وغيرهما ، ساهم الكتاب السنسكريتيون مساهمة فعالة تتفق والتطور الحديث .

ولعبت الحكايات والقصص الشعبية دورا هاما في العهود الماضية في الهند ، في سبيل شحذ الهمم وإثارة المواهب الكامنة في الإنسان ، وكذلك كان يستخدمها المعلمون لتثقيف التلاميذ وتمكين المبادئ النبيلة والأفكار العميقة في أذهانهم ، ولم تتخذ صورة فن خاص قائم بذاته ، ونرى الكتب الهندية والملاحم القديمة مليئة بأنواع من الحكايات والقصص ، تتخللها الأمثال والشؤون السياسية والعلمية والدينية وغيرها .

وأما الروايات فقد تطورت في الأدب السنسكريتي تطورا حديثا وظهر فيها الأثر الغربي . ونرى في السنسكريتية ثلاثة أنواع من الروايات الشائعة الموضوع على أساس هندي خالص ، والمقتبسة من الأنماط الغربية والمترجمة من الروايات الأوروبية أو من اللغات الهندية الأخرى . وقد نشر الروائي السنسكريتي الشهير "أبا شاستري" رواية "لوانيامي" د "بنكيم جندرا" أولا في صحيفة

"سمسكنا جندركا" ثم في شكل كتاب خاص ، وترجم الكاتب "هرى جران" الرواية القيمة "كيلا كندالا" لنفس الكاتب البنغالي. وأما الأديب "أبندرانان سن" فوضع ثلاثا من الروايات الشهيرة "بلى تشاوي" و"مكاراندكا" و "كندامالا" ، وكتب "هريداساسدهاندا" رواية باسم "سرالا" .

وقد بدأت المجالات الأدبية السنسكريتية على نشر عدة قصص طويلة وروايات خيالية ومسرحيات شتى . ثم القصائد القصيرة التي تدور حول موضوع خاص أو رأي معين ، ما كانت تعرف إلا نادرا في الأدب السنسكريتي ولكن نتيجة للتحوّل الغربي الذي تسربت آثاره إلى الآداب الهندية ، بدأ الشعراء السنسكريتيون أيضا ينتهجون النهج الغربي في هذا المضمار الأدبي . مع أن معظم الأشعار السنسكريتية الحديثة التي كانت تنشر في المجالات والنشرات الدوريات كانت في أقدم البحور السنسكريتية الشهيرة "مكتكاس" إلا أن بعض الشعراء الجدد بذلوا محاولة ضئيلة لنشر مجموعات شعرية حديثة ، ومنها المقتبسات من الأدب الإنجليزي أو المترجمة عنه .

الروايات والتمثيلات

أما الروايات والتمثيلات الجادة غير الهازلة فلا تعد ولا تحصى خلال العصور الطويلة التي مربها الأدب السنسكريتي، ولكن كلها أو جلها صيغ في أسلوب قديم ، وقد ألف الكاتب الكبير "بهتارسرى نارينا شاستري" وحده ستا وتتسعين تمثيلية ، ولا تزال تلك التمثيلات متداولة بين الكتاب الجدد والقدامى على حد سواء ، لأن الأعمال الإنسانية الخالدة لا تعرف التغير أو الزوال مع مرور الزمن ، وكم من أعمال أدبية قديمة تمنح للكاتب الحديث أفكارا جديدة وعوامل حية لشحن همته وإيقاظ قريحته .

التراث السنسكريتي

لكل لغة أو أدب تراث خاص يمتاز به عن الآخر ، ومن مميزات اللغة السنسكريتية روح التسامح، بينما جاهدت السنسكريتية في عصورها المديدة من أجل الدفاع عن أفكارها ومبادئها ، فإنها لم تنس حقيقة أن الوسائل المتنوعة تؤدي إلى الهدف الواحد ، وأرسلت آثار هذه الروح العظيمة فورا قبسا

على الفكر الهندي الحديث . وربما يبدو هذا الرأي غريبا بالنظر إلى ما تقدم من مقاومة الأدباء السنسكريتيين – وإن لم يكن كلهم – الإصلاحية وتمسكهم بالتقاليد القديمة ، ولكن روحهم المتسامحة قد وسعت صدورهم لقبول آراء مدارس مختلفة "فيداس" الهندوكية ، ودعوا أيضا إلى محو الفوارق الطبقية والطائفية ، وإلى التفاهم المتبادل .

وإن ارتفاع معدل دراسات الفلسفة الأوروبية في الكليات المحلية ، ومنها المنطق ، وعلم النفس ، والنظريات التي تطابق الآراء التي أبدتها كتاب الغرب قد أثار اهتمام البعض لنشر هذه الفلسفة في أوساط قراء السنسكريتية أيضا. وقام عدد من الكتاب النابغين في اللغات الهندية والأوربية بمهمة ترجمة عدد لا بأس به من المؤلفات الغربية إلى اللغات الهندية ، وفي مقدمتها السنسكريتية .

ونشرت مجلة "بانديت" الصادرة من "بنارس" الترجمة السنسكريتية "لمبادئ العلوم الإنسانية" "الباركلي" ورسائل "لوكا" عن "الفهم الإنساني" وكتب الدكتور "سياما شاستري" في عام ١٩٢٩ م كتابا بعنوان : " باشجاتيا برامانا تتواو منساتتوا" في المنطق والفلسفة . وأحدث الكتب السنسكريتية في هذا المضمار ، ما كتبه الأديب العالم "وسواسورا سدهانتا سرومتى" باسم : "نيتى شاسترا" عن الأخلاق .

مستقبل السنسكريتية

ويبذل الآن أصحاب الأقلام في اللغة السنسكريتية والمعجبون بها مساعي حميدة في سبيل الاحتفاظ بهذه اللغة وتراثها الأدبي وصونهما من عوامل الانقراض ، ولكنهم قد أدركوا تماما بأن البحوث التاريخية أو التحقيقات الفنية وحدها لا تجدي شيئا في منح لغة مهما كان مجدها الماضي حيا أو باهرا ، الحيوية وقدرة التمشي مع مقتضيات العصر . وإن النشاط الحاضر الذي تقوم به في شعب الحياة هو الذي يتدرج بها إلى مدارج الرقي وصفوف اللغات الحية المتداولة .

ورأى الأديب السنسكريتي بثاقب فكره هذه الحقيقة ، وبدأ يقوم بنشاط متنوع النواحي لجعل اللغة السنسكريتية سهله المنال ومقبولة لدى عامة الناس وخاصتهم ، وغنية بالأفكار الحديثة ومطية

للمصطلحات العصرية بدون تعقيد . ولا يتحدث بها اليوم "البانديت" – العالم الديني الهندوكي الذي يتمكن في اللغة السنسكريتية لغرض تحصيل العلوم "الفيدية" – فقط ، بل يشتغل بها ويكتب عدد كبير من المثقفين بثقافات عصرية والخريجين من معاهد وجامعات حديثة والمشتغلين بالأدب الحديث المعاصر . وكذلك تستخدم السنسكريتية كلغة الامتحانات الجامعية في بعض المواد الدراسية .

راكفيدا

أقدم الكتب السنسكريتية

قلنا في مستهل الحديث عن السنسكريتية أن "ركفيدا" هو أقدم الآداب الهندية في هذه اللغة الكلاسيكية . كما أنه أوثق المؤلفات عن السلالة الآرية ، وعن حضارتها وعقائدها . وأن الآريين – سواء في الهند أو غيرها – كانوا حاملِي الأدب السنسكريتي وتأثرت السنسكريتية بمعتقداتهم وآثار حضارتهم بحيث تتجلى خلال الآداب السنسكريتية المتنوعة . وأن التمدن الآري المعروف بالتمدن "الركفيدي" هو بعينه التمدن الهندوكي الأصلي .

وأن لغة "ركفيدا" تفوح منها رائحة لغة مشتركة كان ينطق بها أسلاف شعوب عديدة في موطن مشترك وفي زمن معاصر . وأما الألفاظ التي تدل على القرابة أو التجارة الأساسية في الحياة ، ففي تقارب وثيق في المنطق والمعاني في اللغات السنسكريتية واللاتينية والألمانية والإنجليزية والفارسية ، فإن كلمة الأم في السنسكريتية "ماتر" وفي اللاتينية "متر" وفي الإنجليزية "مذر" وفي الفارسية "مادر" ، وللابن في السنسكريتية "سون" وفي اللاتينية "سونو" وفي الألمانية "سن" وفي الإنجليزية "سن" . وهذا التشابه القريب اللغوي يدل على أساس مشترك في التاريخ القديم عن العهد البدائي البشرية بصفة عامة ولهذه السلالة بصفة خاصة .

وما هو الموطن الأصلي للآريين ؟ هذا هو سؤال يتطلب بحثا دقيقا بطريقة علمية عميقة . وأن الكتاب الهندوسي القديم "ركفيدا" وأقدم الكتب الإيرانية "أوستا" يبيديان تطابقا في اللغة والأفكار أكثر مما هو في أي كتب آخر . وهذه المشابهة القريبة بين "ركفيدا" و "أوستا" تدل على كون أجداد الهنود القدامى والإيرانيين منحدرين من أصل واحد ، أو – على الأقل – من موطن مشترك أو عاشوا مدة طويلة معا قبل الافتراق إلى أماكن متناحية . وعلينا الآن التحقيق عن العهد الذي وضع فيه هذا الكتاب القيم .

إن الاكتشافات التاريخية التي حصلت في منطقة "بوجازكوتي" في الشرق الأدنى ، والتي وُرجع تاريخها إلى عهود تسبق عام ١٤٠٠ ق . م ، تدل على وجود علاقات عائلية بين ملك "الحتيين" وملك "ميتاني" وكذلك جرت معاهدات ومواثيق بين العائلتين ، وأتى فيها ذكر الآلهة كالشهداء على تلك المواثيق المعقودة بين الطرفين . وهذه الأسماء الواردة فيها للآلهة تبدي مطابقة تامة بين أسماء الآلهة المذكورة في "ركفيدا" مثلا : مثل "أندرا" و "ورونا" و "مترا" وغيرها . وبناء على كون هؤلاء آلهة معروفين لدى "أوستا" أيضا ، ظن بعض الباحثين أنها الآلهة المشتركة بين الهنود والإيرانيين من أصل آري موحد . ولكن هجاء هذه الأسماء في الكتابة المتعلقة بمناطق ما وراء النهرين يدل على انتمائها إلى أصل "ركفيدي" . ونستطيع أن نفترض من هذا الاكتشاف التاريخي أن الثقافة الركفيدية قد وطدت أركانها في الهند قبل ١٤٠٠ عام ق . م ، بزمن طويل لكي تتمكن من إرسال نفوذها إلى بلدان نائية في الشرق الأدنى . وجاء ذكر أسماء ملوك "ميتاني" بأسماء سنسكريتية في الخطوط الأثرية التي عثر عليها في حفريات "تل العمرنا" والتي يرجع عهدها إلى تاريخ أثريات "بوجازكوتي" المذكورة ، ومنها أسماء "آرتاتاما" و "ستارنا" و "تسرتا" . وقد ورد فيها أيضا ذكر أسماء بعض ملوك "كاس" الذين كانوا يحكمون "بابل" فيما بين فترتي ١٧٤٦ – ١١٨٠ ق . م وكلها أسماء سنسكريتية مثل شورباسي (سورية) و "ماريتاس" (ماروتاس) المذكور في "فيدا" الهندي وغيرها . وعثرت على مكتبة أثرية في "أسور بنبيال" يعود عصرها إلى عام ٧٠ ق . م ، وفيها قائمة للآلهة المعبودة في "أشوريا" . ومنها اسم الإله "أسارا – ماراسي ، مشابه للإله الأوستاني العظيم "أهورا – مزدا" . وأن كلمة "أسارا" أقرب إلى كلمة "أسورا" السنسكريتية من كلمة "أهور الأوستائية".

وإذا أثبت التاريخ ترعرع البوذية في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، فلا بد أن تكون الحضارة البرهمية والثقافة الآرية قد وطدت أقدامها فيها قبل البوذية ، لأن الكتب البوذية القديمة الهندية تذكر عنهما . وكما أن النمو الأدبي البرهمي يحتاج إلى زمن كاف بعد عهد "الركفيدي" لأن الأدب البرهمي المتشكل من أربعة أقسام : سوترا ، وأرنيكا ، وأبانيشد ، وبرهمن ، قد رتب بعد "ركفيدا سمهتا" ، وعلى هذا يمكن أن يقال أن عهد "ركفيدا" ربما يعود إلى ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد – على أقل تقدير – تخميناً لا تحديداً .

الهند في "ركفيدا"

يبدو من هذا الكتاب العتيق أن الآريين كانوا يملكون مساحات من الأراضي ، وترعرعت فيها ثقافتهم وحضارتهم . وكما أنه يلقي ضوء على الحدود الجغرافية للهند الركفيدية . إذ ذكر في غربيها أنهر "كوبها" (كابل) وجومتى وسواستو (سوات) ، ثم أسماء الأنهر الخمسة في "بنجاب" وهي سندهو (إندس) وتاسنا (جهلم) وأسيكي (جنب) وبروشني (أتراوتي أو "راوي") و "بياس" و(وياس) وكذلك ذكر أسماء "سوتودري" (ستلج) و"سرسوتي" و "يمنا" و "جنجا" .

وتعيد أناشيد الصباح في "ركفيدا" إلى الأذهان جمال الصباح في مناطق بنجاب من الرعد والبرق وهبوط الأمطار من السحب الكثيفة . وأن ذكر أنهر كوبها يدل على سيطرة الهند على أفغانستان في تلك العهود . ثم ذكر منطقة لكل طائفة فيدية وفي مقدمتها كندهاري ، ومجاونت ، وأنو وغيرها . وفي ميدان لتطورات السيسية في الهند في عصر ركفيدا ، يقول عن حروب الملوك العشرة ضد "شوداس" ملك قوم بهارتا . وكانت الحروب قد نشبت بسبب التنافس لأجل السيادة بين الأقسام المختلفة القديمة ، ويبدو أن تلك الحروب قد عمت الهند الركفيدية كلها ، وأن الأقسام الرئيسية التي كانت تقطن المناطق الغربية "لإندس" ، "يختون" الأفغانية ، و "شيوا" و"شن" و "ألينين" ، وفي داخل الأراضي الهندية "أنو" و "بورو" و "درويو" و "تورواسا" وغيرها ، وفي شرق "يمنا" و"أجا" و "تشو" و "سيكرو" من غير الآريين وبفضل التطورات السياسية والاختلافات الداخلية والتنافس في السيادة كادت الهند كلها تتوحد تحت إمرة حاكم رئيسي ، وتسود السلطة الآرية على السكان الأصليين كلهم . ثم يعطي "ركفيدا" تفاصيل الأسباب الثقافية والسياسية لاشتداد التصادم الفكري والسياسي بين الآريين وغيرهم ، ومدى نتائج هذا التصادم الذي حصل في الهند عقب وصول الآريين إليها فاتحين ، من خارج حدود شبه القارة الهندية .

المعرفة في العصر الركفيدي

قامت المدنية الركفيدية على مبدأ "فكرة عالية وحياة عادية" وما كانت تهتم ببناء العمارات الفخمة والقلاع الحصينة مثل ما كانت عادة متبعة عند قدماء المصريين أو الأشوريين ولكن الأفكار

العالية والثقافة الرفيعة كانت قد بلغت القمة في العصر الذهبي للمدينة الركيفية . وأن الأدعية الواردة في "ركفيدا" تتم عن معرفة جلية بأسرار الكون وحقائق الطبيعة ، وكذلك تشمل أفكارا فلسفية عظيمة .

وبمقتضى مبادئ ركفيدا ، أن النمو العلمي له أدوار أربعة : (١) الابتداء (٢) والانتشار (٣) والاختيار (٤) والتطبيق العلمي . فإن أفكار ركفيدا أنشئت أولا من خلال الأناشيد والأدعية الدينية التي شاعت في أوساط الأسر العلمية والدوائر الفلسفية ، ثم جمعت هذه الأناشيد في دواوين مختلفة وبعد ذلك حصل جمع هذه الدواوين في ديوان واحد باسم "سمهتا" ، وبعد عصور من الزمن تفرع من ثلاث فيدات رئيسية وهي : "ساما" و "يجر" و "أثرو" ، ويدل التحقيق العلمي على أن أطوار ركفيدا سانة من مراحل الابتدائية إلى دور تكمله كانت تتطلب قرونا عديدة ، وأن تاريخه هو من أقدم التواريخ المتعلقة بالجنس البشري ، كما أكده كثير من المؤرخين .

يحتوي "ركفيدا" على ثمانين ألف بيت ، مع أن خمسة آلاف منها مكررة وأن الحفاظ كانوا يحفظونها على ظهر قلب مع الإتقان والإعادة حيناً فآخر وبعد انتشار نظام الكتابة كتب متن "ركفيدا" في غاية الدقة وكان المولعون به – منذ أقدم العصور – يحافظون على الدقائق اللفظية واللغوية . وطبقا لقوانين الكتابة الرائجة في اللغة السنسكريتية . وعند اكتمال كتابة "سمتها" وتدوينه اتخذت الخطوات اللازمة لحفظه من التحريف والتزييف بمرور الزمن وتطورات الدهر . وكانت طريقة التعليم في ذلك العهد اجتماع عدد من التلاميذ في بيت المعلم ، ويكون في مقدمتهم أولاده وأفراد أسرته وجيرانه ويتلقون منه شفويا ما يلقي عليهم من المتن والشرح والإيضاح ، وبعضهم يحفظونه أو يكتبونه على ما قدر من أدوات الكتابة في ذلك العصر . ويحفظ التلاميذ المتون أولا بالتكرار ثم بالاستذكار مما كتبوه أمام المعلم وقت الإلقاء ، وهذه الطريقة القديمة كانت تعطي أهمية كبرى للنطق والتلفظ في الإلقاء والقراءة .

الديانة الركيفية

والديانة "الركيفية" مبنية على عبادة الآلهة التي يرجى منها البركة والإحسان وتحقيق المرام .
وأما طريقة أداء القرابين لها فتقديم اللبن والحبوب والسمن واللحوم ، وكذلك أنواع من المرطبات
الممزوجة من عصير الفواكه والنباتات ، إلى جانب ترتيل الأناشيد الدينية والأدعية الفيدية ، وربما
تصحبها رقصات وطقوس ورسوم معينة مبينة في "ركفيدا" ويشمل الكتاب المعاني والحكم العميقة
الكامنة وراء هذه العبادات والطقوس ومن الطريف جدا أن "ركفيدا" يسمح ويحث على العبادة أو
تقديم القرابين لآلهة كثيرة ويثبت وحدة العالم في الأخير كمخلوق الله الواحد الذي تنتمي إليه جميع
المظاهر المختلفة وإليه مصير الكون كله ، ويدعوه الروح الأعظم ، أو العلة الأولى وكما أنه يعترف
بحق واحد يتحقق بطرق شتى ويعتقد بالحياة الأخرى الأبدية .

بنج تنترا

الكتاب السنسكريتي الشهير "بنج تنترا" هو المعروف الشائع في المكتبة العربية باسم "كليلة
ودمنة" وأن الواضع الحقيقي لهذا الكتاب "وشنوشرما" وقبل أن نأتي على تفاصيل المواضيع التي
يبحث عنها هذا الكتاب التاريخي الجليل ، نلقي نظرة خاطفة حول سبب وضعه : عاش في الهند في
عهد قديم ، ملك نبغ في مختلف العلوم والفنون ، وكان عاقلا في أعماله ، وحكيما في سياسته . وأما
أبنائه الثلاثة فكانوا مغفلين أغبياء لا يفهمون شيئا من أمور الحكمة وشؤون السياسة . وأسف الملك
على هذه الحالة أسفا شديدا ، ودعا يوما جميع فلاسفة عصره وأعيان مملكته للاجتماع في قصره ،
ولكي يبحث معهم عن الوسائل التي تساعد على تحبيب أولاده في الأقدام على تحصيل العلوم ونيل
الحكم . ولما تم انعقاد اجتماع الفلاسفة والحكماء والأعيان ، خطب فيهم الملك الحاذق فقال : إن
أبنائي ينفرون من العلم ويتعدون عن الحكم السياسية ، ويبدو أنهم محرومون من الفطنة والذكاء .
وأن الولد العاصي الغبي مثل البقرة العاقر التي لا تلد ولا تجود باللبن ، فأرجو منكم العثور على
وسيلة تؤدي إلى إيقاظ ذكاء أبنائي وترغيبهم في الحكم والعلوم . وأجاب البعض أن الإقبال على
العلوم النحوية واللغوية لمدة اثنتي عشرة سنة - تقريبا - يكون عوناً على تحصيل العلوم الدينية
والدنيوية . ففتفتح أمامهم أبواب المعرفة والحكمة السياسية على مصاريعها . ولكن فيلسوفا من

الحاضرين وقف قائلاً : أيها الملك العظيم إن الحياة لقصيرة ، فلا ينبغي لنا أن نجعلها أقصر . وإن العلوم اللغوية والنحوية وغيرهما من آلات المعرفة والعلم تتطلب زمنا طويلا لإتقانها والتمكن فيها . وضرب المثل المشهور لدى العلماء : إن العلوم اللغوية بحر عميق لا نهاية له ، وأن الحياة قصيرة تواجه عدة عوائق في طريق امتدادها ، واقترح بضرورة اختيار الأهم من العلوم واتباع أقرب الطرق وأسهل الوسائل لنيل الحقائق ومعرفة العلوم الأساسية . وأن في مملكتكم برهميا فيلسوفا يدعى "وشنوشرما" فإذا سلم الملك أبناءه إليه فإنه يشحذ أذهانهم ويزكي نفوسهم .

هذا هو محل الاختلاف بين الباحثين في سبب وضع هذا الكتاب فيقول البعض بأن "بيديا" رأس الفلاسفة في عصر الملك الهندي العظيم "دبشليم" هو واضعه . وهكذا بدأ البعض ينسبون الكتاب إليه. وأما الرأي الآخر الذي يقول بتأليفه الفيلسوف "ويشنوشرما" فيضيف : أن الملك قبل اقتراح الفيلسوف ، وأمر بإحضار البرهمي الفقيه "ويشنوشرما" إلى الحضرة الملكية فقال : أيها الناسك الجليل أرجو منك تعليم أبنائي لكي يصبحوا نابغين وحاذقين في العلوم الدينية والدنيوية ، ويكونوا أذكاء في الحياة العملية . ثم أمر الملك بفتح خزائن القصر للفيلسوف لكي يتصرف فيها كما يشاء ، وكذلك رفع درجته وعظم شأنه .

ولكن الحكيم الهندي المذكور رد الملك قائلاً : أيها الملك ! إنني لا أقول إلا الحق الصريح ، ولست من الذين يبيعون الحكمة والعلم بالمتاع الدنيوي الفاني ، إن اعتزازي هذا من التزهدي في المال، وأن العلماء يجودون بالعلم ولا يريدون عليه مالا ولا شكورا . لكنني أحاول لتثقيف أبنائك وينجحون في حياتهم العملية . ويقال بأن كتاب "بنج تنترا" أقدم الكتب القصصية في العالم ، ويرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد وكان الكتاب يدعى في أول الأمر باسم : "نيتي شاسترا" . والكتب الفيديوية الهندوسية مليئة بالحكايات والقصص مع أن العلوم ما كانت في الماضي مقسمة – كما هي الآن – إلى أنواع وفنون ، ولكنها تجمع في كتاب واحد سواء أكانت منها الفلسفة أو التاريخ أو العلوم السياسية والقصص والروايات وغيرها ، والآن أصبحت القصص فنا قائما بذاته .

وعند البعض الآخر أن السبب المذكور لوضع "بنج تنترا" لا يوافق الحقيقة الواقعية إلى حد كبير، لأن مجرد سرد الحكايات وبيان القصص الأسطورية لا يوقد أذهان هؤلاء الأمراء السفهاء ،

ويفتح عقولهم إلى حد أن يصبحوا نابغين في السياسة وفقهاء في العلوم . ويمكن أن يقال بأن واضعه أراد ذكر سببا لوضعه هذه الحكايات والقصص ذات العبر والحكم العديدة ، فاخترع قصة الملك وأبنائه ، لأن الهند كانت تحت نفوذ الملوك حينذاك ، وأن معظم أبناء الملوك قد انغمسوا في الترف والملذات الدنيوية بحيث ما كانوا يعدون أكفاء لتولي الأمور السياسية في البلاد بكياسة وفتانة ، فكان الوجه الانتساب أوفق وأسهل . وفيما يلي بعض المصادر التي اقتبس منها المؤلف قصصه وحكاياته، وأن "بنج تنترا" يذكر عن "راماين" و "منوسمрти" و "منو" و "شانكيا" وكذلك ورد فيه ذكر الكهان البوذيين . وفيه أيضا قصص ورد ذكرها في "مهابهارت" وكل هذا يدل على أن "وشنوشرما" صاحب الكتاب قد ولد في عهد الإمبراطور الهندي العظيم "جنديرا جوبتا" وكما أنه يثبت ولادته في القرن الأخير قبل الميلاد في أيام ملوك الأسرة "الكنشكية" حينما كانت البوذية دين الدولة ، فقبل بأن الملك "كنشك" كان يحكم من "كاش" إلى "بندهيا شل" جنوبا وإلى "كاشفر" و "يارق" شمالا وإلى حدود الفارس غربا . ويعني هذا أن مملكته كانت تشمل بنجاب وولاية أوتربراديش ، وكشمير ، وغيرها من نواحي الهند الشمالية وجزء كبيرا من آسيا الوسطى . وكانت عاصمة "تكشيل" الواقعة بقرب "بشاور" الحاضرة . وإن هذا الكتاب بمثابة مثل حي لانتشار فن الحكايات والقصص القصيرة في الآداب الهندية القديمة .

ويبذل اليوم أصحاب الأقلام في اللغة السنسكريتية والمعجبون بها مساعي جميلة للاحتفاظ بتراثها الأدبي وصونه من عوامل الانقراض ويجري الآن نشاط متنوع النواحي لتطوير " السنسكريتية" وجعلها سهلة المنال وغنية بالأفكار الحديثة ومقبولة ومتداولة لدى المثقفين الجدد .

(٢) اللغة الهندية

تتميز الهند عن سائر بلدان العالم بكثرة اللغات وتعدد اللهجات ، حتى لا يوجد لها مثيل في بقاع الأرض . وقد اعترف الدستور الهندي بأربع عشرة لغة من اللغات الهندية المحلية ، كلغات رسمية ووطنية ، على أن تكون اللغة الهندية التي تكتب اليوم بحروف "ديوناكري" اللغة الرسمية الرئيسية للدولة ، لتحل محل الإنجليزية التي كانت لغة الدولة طوال فترة الحكم الإنجليزي في الهند .

نشأة الهندية

ومن المسلم به بين المؤرخين القدامى والمحدثين ، أن الهند قد شهدت عدة حضارات ولغات قبل الآريين وحضارتهم ولغاتهم ، وأن أقدم السكان في شبه القارة الهندية – على ما وصل إليه التحقيق التاريخي إلى الآن – قبيلة "نيجرتيو" وأتى من بعدها رجال قبيلة "آسترك" من الهند الصينية ، ثم وصلت إليها القبائل "الدرافيدية" من الجهات الغربية وبعدها وصل الآريون وبعض رجال القبائل التبتية – الصينية ، وأن الآثار الاستركية والدرافيدية لا تزال جزء لا يتجزأ للحضارة الهندية المشتركة . ولكن للعناصر الأثرية التي تركتها فيها قبيلة "نيجرتيو" ما زالت موضع تحقيق لدى علماء الآثار القديمة ، بينما آثار القبائل التبتية الصينية منحصرة في مناطق شمال شرق الهند .

ولا تعتبر الحضارة الهندية حضارة آرية خالصة وقد أثبتت الاكتشافات التاريخية الأخيرة ، بأن الآريين قد وجدوا عند وصولهم إلى الهند حضارة عريقة موطدة الأركان . وكانت تفوق حضارتهم في نواح عديدة ، فأخذ الآريون كثيرا من المعتقدات والتقاليد الدرافيدية ، ومنها الآراء الخاصة ببعض الإلهة والمعبودات وكذلك الري والعادات الاجتماعية . وقد اختلف المؤرخون في مدى الأثر الذي تركته اللغات الدرافيدية في اللغات الآرية وبالعكس ، كما اختلفوا في الموطن الأصلي للآريين ولغتهم الخاصة . فمنهم من يرى أن الآريين قد أتوا من التبت ، لأن التبت حسب المعتقدات الهندوسية القديمة أول مسكن للإنسان على وجه الأرض ، بينما يرى بعض علماء السنسكريتية أن القبائل الآرية من أصل هندي ، ثم انتشرت إلى مناطق آسيا الوسطى وأوربا بناء على

أن الكتب السنسكريتية القديمة لم تشر إلى كون الآريين منحدرين من أصل خارجي . وأما الكتب القديمة للآريين فلا تقول شيئاً عن موطنهم الأصلي وتاريخ وصولهم إلى الهند .

وتعتبر العصور التي تراوحت فيما بين القرن الخامس ق . م المسيحي والقرن السادس بعده عصوراً ذهبية في تاريخ نشأة وتطور اللغات الآرية في الهند إلى جانب السنسكريتية واللهجات المحلية . وصارت هذه اللغات التيارات الرئيسية ، تيار الألسنة "البراكرتية" (الفطرية) القديمة التي كانت تتقدم بسرعة فائقة بواسطة مساعي دعاة البوذية والجينية الذين التجأوا إلى لهجات عامة الشعب في دعواتهم وخطبهم ومواعظهم ، وتيار " السنسكريتية الفيديّة" الأدبية . وكانت السنسكريتية تحتل مكانة مرموقة لدى الأدباء والطبقات والأرستقراطية ، بينما أخذت "البراكرتية" محلاً مرضياً في أوساط الطبقات المتوسطة والقبائل المحلية القديمة .

اللغات البراكرتية (الفطرة)

وجدير بالذكر أن اللغات "البراكرتية" كانت متعددة ومختلفة اللهجات بحيث ينسب كل منها إلى المناطق التي تسود فيها . ومن "البراكرتية" الهامة التي أخذت شكلاً أدبياً في تلك العصور "شورسيني" السائدة في ضواحي "متهرا" في شمال الهند ، وكانت أعلى أنواع اللغات البراكرتية بعد السنسكريتية ، وتوجد صلة وثيقة وقرابة هامة بينهما ، و"ماجدهي" الشائعة في جنوبي "بيهار" فكانت في منأى شاسع عن المجال الأدبي لبعدها عن مراكز الحضارة الآرية . وانتشرت "ماجدهي" في التخوم الشرقية لمناطق اللغات الآرية وأدائها . و"مهاراشترا" فنالت البراكرتية "المهاراشترية" حينذاك تقدماً ملموساً في الميدان الأدبي ووفرة المعاني ونهضة الأساليب ، وسجلت – بصفة خاصة – شوطاً بعيداً في الشعر والموسيقى ويقال بأن كثرة حروف العلة فيها قد ساعدت على تقدم هذين الفنين فيها . وصارت هذه اللغة منتشرة في شتى جهات الهند القديمة حتى أصبحت لغة يفتخر بها كل من يعرفها من ناطقي اللغات المحلية الأخرى ، إن "أرده ماجدهي" أي مزيج من الماجدهية والشورسينية ، السائدة في المناطق الواقعة بين "بيهار" و "ألهاآباد" . وكانت تعرف هذه لدى أهالي دلهي "وربي" أي للغة المشرق . ويقال بأن بوذا ومهاويرا مؤسس "الجينية" كانا يبشران بدعوتهما في أول الأمر بهذه اللغة ، وأن العائلات الملكية كانت تستخدمها للشؤون الإدارية والأدبية على حد

سواء ،فناالت تقدا رسما على اللغات البراكرتية الأخرى ، وتركت أثرا مرموقا في الهندية الحاضرة السائدة في بيهار وضواحيها . و"البيشاجية" التي كانت مستخدمة في بنجاب وكشمير ،وهي أدنى أنواع اللغات البراكرتية أو الآرية . ويقول اللغويون بأنها بقايا لهجات القبائل القديمة الهمجية ، ولذا كان العوام يدعونها لغة "بهوت" أو "بريت" أي الأرواح الشريرة .

ويتجلى من المذكور أن كل لغة كانت تعرف منسوبة إلى المنطقة معينة من الهند . ومن الحقيقة المحضة أن اللغات الدارجة – العامية – لا تتمشى في جميع الأحوال مع اللغات الفصحى الأدبية . وعلى هذا في مكنتنا أن نقول إن اللغات الآرية السائدة في مختلف جهات البلاد كانت تمثل –دائما- لهجات عامة الشعب ومحاوراتهم ، ولو قطعت شوطا بعيدا في الميدان الأدبي . وبعبادرة أخرى فإن الأعمال الأدبية التي وصلت إلينا من تلك اللغات لا تدل بحكم الضرورة على اللهجات والمكالمات الدارجة في أوساط سكان منطقة معينة في فترة معينة من أوار تاريخهم . وأن اللغة الأدبية لا تسير في جميع الأحوال في السرعة التي تتطور بها اللغة الدارجة (العامية) .

لغة (أب بهرنش)

ومنذ القرن السادس للميلاد نشأت في الهند لغة جديدة آرية على أنقاض "البراكرتية" القديمة . وسادت هذه اللغة مختلفة المرافق في البلاد إلى القرن العاشر للميلاد . ونظرا لمكانة "أب بهرنش" بدأت الطبقات المتعلمة والمهذبة تنصرف إليها ، وقيل إن اللغات الأوربية أيضا تأثرت بنفوذها وانطبعت بأدابها ، وتركت أثرا فعالا في اللهجات الججرانية والرجبوتانية والبيهارية . وقسم العالم اللغوي الشهير "ماركند" "أب بهرنش" إلى ثلاثة أقسام "ناجر أب بهرنش" وهي الصورة الأدبية للهجات ججرات وراجستان ، ولكن "شورسيني" البراكرتية أثرت فيها تأثيرا بالغا حتى أنها اشتهرت بأنها بنتها ، وكان السبب الأصلي لتفوق "ناجرأب بهرنش" قبولها الذي نالته في أوساط الطبقة المتعلمة وكثرة التصانيف القيمة فيها .

مصدر خط "ناجرى"

إن الحروف التي تكتب بها الآن "الهندية" تعرف بالحروف "الناجرية" و "ناجر" في الأصالة اسم طائفة من براهمة "ججرات" واشتهر الخط اللغوي الشائع في تلك المناطق خط "ناجرى" فيما بعد حتى صار خطأ هاما للغة الهندية في جميع الجهات الشمالية والغربية في شبه القارة الهندية . أما "براجد أب بهرنش" فكانت شائعة في السند وأن اللغة السنديّة الحاضرة ناتجة منها ومركبة من أجزائها . أما "أب ناجر" فكانت شائعة في غربي "راجبوتانا" وجنوبي بنجاب . وهي مزيج من "ناجر" أي لهجات ججرات وراجستان المذكورة و "براجد" ، وهكذا أخذت "أب بهرنش" مكانة اللغة الأدبية الأولى من بين اللغات الآرية الأخرى العديدة . والأشكال القديمة لجميع اللغات الموجودة الهندية تشبهه - إلى حد كبير - شكل "أب بهرنش" في عصرها الذهبي الأخير ، أي أواخر القرن العاشر للميلاد ، وكانت اللغة التي سادت البلاد فيما بين فترتي "أب بهرنش" واللغات الراهنة لغة "أوهت" وفيها أيضا تكونت نهضات أدبية جمّة . ومن الصعب أن تحدد الفترة التي انتهت فيه "أب بهرنش" ونشأت اللغات الحاضرة . ومع كون التطورات اللغوية تحدثت في غاية البطء والتدريج ، فيكون للتقلبات السياسية والاجتماعية دخل كبير في الإسراع باستبدال لغة بأخرى وإدخال تغييرات في أساليبها وأصولها .

وهناك دلائل أثرية تقول إن اللغات الموجودة قد تأصلت جذورها عقب الهيجان السياسي الذي حدث في أواخر القرن العاشر الميلادي ، وعاصره وصول المسلمين إلى القارة الهندية حاملين حضارة جديدة وثقافة تمتاز عن التي مارسها الهند في الماضي ، وفي الوقت ذاته نشطت حركات دينية هندوسية في شتى أنحاء البلاد ، فانتشرت الأشعار "الفيدية" والكتب الدينية في مختلف اللغات الإقليمية . وهكذا تحررت الحركات الدينية بين الهندوس من احتكار "السنسكريتية" وبدأت اللغات الجديدة تقوم بذاتها بعيدة عن النفوذ السنسكريتي التقليدي ، مع أن السنسكريتية ما زالت لغة العلوم العقلية والفلسفة القديمة .

وأما الحكام المسلمون فكانوا يشجعون اللغات وآدابها وفنونها سيما العلمية منها طبقا لذوقهم الطبيعي في هذا المضمار ، ومن الدليل الساطع على هذه الحقيقة التاريخية ، للعلامة أبو الريحان البيروني الذي زار الهند في القرن الحادي عشر وقضى فيها عدة سنين يحقق في العلوم الهندية

ويبحث علماء الهند وينظرونهم في مواضيع علمية عديدة . وأدرك بثاقب فكره أهمية اللغة السنسكريتية في تحصيل العلوم القديمة فكرس أوقاته في التبحر في هذا اللغة والمناظرة والبحث مع العلماء السنسكريتيين المعروفين "ببانديت" في الهندية . وخالصة القول أن اللغات الهندية الجديدة قد نشأت من لغة "أب بهرنش" وليست من اللغات "البراكرتية" القديمة .

الحركة التقدمية

نشأت "الهندية" في جو شعبي سليم ، وتكونت أجزاءها من السنسكريتية واللغات المحلية الأخرى السائدة في الهند الوسطى المعروفة من قبل باسم "مدهيا بهارت" وتكتب بحروف "ديوناجرى" المعروفة . ومنذ بدأت الحركة الإبداعية في الهند نزل الكاتب الهندي إلى ميدان تحرير المجتمع من الأوضاع الفاسدة سواء في الميادين الاجتماعية أو الاقتصادية وكان الكاتب من قبل يتناول الطرق والوسائل المادية ، أو بعبارة أخرى وسائل علمانية للتحرر الاجتماعي والاقتصادي ، وما كان يعالج هذا الموضوع الحساس من الناحية الروحية والأخلاقية ، ولكن هذه الحركة قد استهدفت اتجاهها ذهنيا تقدما متحررا كاملا ، كما كانت تهدف إليه حركة "براجاتي وادا" ، التي كان يتزعمها الكاتب الهندي الشهير "بريم جاند" .

أما حركة "براجاتي وادا" فلم تكن إلا حركة تقدمية هندية خالصة تهدف إلى تحرير المجتمع من الأوضاع البالية وتنبيه الوعي القومي نحو ما تقشى في المجتمع من الفقر والجهل والمرض ، وكما أنها نقطة التقاء من الإبداعية الأخيرة والفلسفة الماركسية ، وفي الوقت ذاته نشأت في بعض الدوائر الأدبية حركة إبداعية هندية مبنية على فكرة ربوبية خفية ، وعلى رحمة الطبيعة وجمالها بدون المساس بالشخصيات المشؤومة والمنكوبة ، كما هو الشائع في الروايات والقصص الإبداعية الأخرى ، وعرفت هذه الحركة باسم "تشاياوادا" وهي بمثابة نقطة التقاء بين الإبداعية الأولى والفلسفة "الفيدية" الهندية القديمة .

وتحولت هذه الحركة من بدايتها الشائكة ، كنشاط أدبي لتوسيع نطاق المشاركة الوجدانية الاجتماعية للكتاب ، وتقدير لأهمية الآداب والدور الذي ينبغي أن تلعبه في الميادين الإصلاحية الشعبية ، إلى نظرية قريبة للفلسفة الشيوعية الكاملة مستنكرة جميع طبقات كتاب التقاليد الديمقراطية المتحررة الذين ساهموا وأيدوا هذه الحركة في مهدها في مختلف مراحلها ، وكلما ازدادت ارتباطا بالشيوعية أصبحت الحركة أدبية سياسية فوق الاعتبارات الأخرى وصارت أفكار الحركات الإبداعية الأخرى في منأى عنها بحكم العرف السياسي الذي يسيطر عليها، وما كان روادها الكبار بعيدين عن الشائبة "الصادية" قبل أن تقع تحت وطأة التصلب الكامل في الميدان الفكري التقدمي ، وفي مقدمة هؤلاء الرواد "ياشبال" (١٩٠٤ م) و"ناجارجن" (١٩١١م) و "راميشور شكلا" (١٩١٥ م) و "نريش مهتا" (١٩٢٤ م) وإذا أردنا الشاهد من خارج دائرة الأدب الهندي على المظاهر التقدمية في اللغات الشقيقة ، فإن مقالات ومؤلفات "كريشان جندار" و" خواجه أحمد عباس " لشائنة ومعروفة في ميدان الانشراح الصادي .

عصر التجديد

إن الحركتين السابقتين ، والنهضات العامة التي حدثت في الميدان الأدبي ، في الهند وخارجها ، ونشاط حركة الآداب الأجنبية وتبادل الزيارات والبعثات الثقافية بين البلدان المختلفة ، كلها دفعت الكتاب في اللغة الهندية أيضا إلى دراسة أحوال المجتمع والوقوف على طرق حياته ، وتناولها في أعمالهم الأدبية بحثا ونقدا وتحقيرا ، ونشدانا للعلاج الناجع لما أصابه من علل وأمراض . وطلبا للوسائل الكافية لمحو الأمية وإزالة الفقر من الطبقات المختلفة التي كانت تكابد الآلام والعناء تحت وطأة التعقيدات الاجتماعية البالية والعرف البالي الذي تسرب إليه الوهن والضعف مع أنه كان يتمسك بأسلوبه التقليدي القديم ، ويدور حول الأخيلة والتشبيهات القديمة ومن أتباع تلك المدرسة الشاعر الشهير حينذاك "ما يتلى شران جبتا" الذي أبدى مرونة فكرية وفتانة فنية في التمسك بالمبادئ الإنسانية ، والدعوة إلى المثل العليا في الحياة ، بينما كان الشاعران "مكهن لال جترويد"

(١٨٨٨ م) "بالاكريشنا شرما" (١٩٠٨ م) المعروف بلقب "ناوين" من الشعراء الوطنيين الخياليين المياليين إلى فن التلميح والرمز .

وهناك الشاعر الغزلي "بالاكريشنا راو" (١٩١١ م) الذي ينتمي إلى مدرسة "تشايلوادا" أسدى خدمات جليلة في ميدان القصائد الغزلية ، وقد امتاز أسلوبه بالبساطة والسهولة بحيث يقرب شعره إلى القلوب .

إن التقدم العام في الفكر العلمي والنظرية الفلسفية ، ترك أثرا فعالا في القصص الخيالية في الأدب الهندي ، وقد استهدف كتاب ذلك العصر ، تصوير حياة الشعب كما هي لتكون نبراسا للصالحين الذين يعملون لرفع مستوى مرافق حياة المجتمع . وقد نشطت فيه أيضا القصص التاريخية التي توضع الوقائع القديمة ، وتصور الأساطير الشهيرة . ومن الذين أحرزوا قصب السباق في هذا المضمار ، "بهكوات شران أبادهيايا" (١٩١٠ م) إذ كان يصور المناظر العامة لتطورات المجتمع من العصر "الفيدي" إلى العصور الوسطى وأما "راهول سنكرتياانا" (١٨٩٥ م) فكان يحاول توضيح طرق الحياة في الجمهوريات القديمة ، بينما كان "رنجايا راکهو" (١٩٢٢ م) يهتم بمدينة "موهن جودارو" .

الروايات

وانتقلت الروايات الهندية بيد الكاتب الأديب "بريم جاند" من الاعتقاد الشائع الخاطئ أن الكتابة التقدمية يجب أن تدور حول العمال الكادحين ، والفلاحين في الحقول ، إلى شخصيات أصيلة في الحالات الراهنة في المجتمع واتسمت رواياته باتزان طبقي بعيد عن الورطة التي وقع فيها بعض دعاة حركة "براجاتي وادا" في عصره . وبناء على كون معظم كتاب هذه المدرسة منتمين إلى طبقة مدنية ، ما كانوا مكثرين بعقلية الشعب الذي يريدون تصويره ومعالجة قضاياها وحل مشاكله وأدى هذا الموقف إلى وجود كمية وافرة من النقد المتحيز مدفوعا بقصر النظر والتطرف الفكري ،

وهؤلاء الكتاب لم يصرفوا اهتماما بالغا نحو الأعمال الأدبية "لبريم جاند" الذي اعتبروه رائد الأدب الهندي الحديث وقائده .

واختار "بريم جاند" كأول روائي منظم في الهندية شخصياته من الطبقات السفلى ، ومن جماعة الفلاحين الذين اختلطوا به أو اختلط بهم ، وما كان يفلت من قلبه الوقاد النظام الإقطاعي الاستقرائي المنهار ، والوعي الاجتماعي العام في أوساط طبقات الأمة . وكان يصور الحياة الريفية ، وحالات العمال والفلاحين بكل أمانة وإخلاص . وفي غاية العطف والحنان ، وامتازت رواياته دائما بحسن اختيار المواضيع الحساسة ، والفصول الواقعية المحكمة ، وكانت الأدوار في غاية الدقة والإتقان ، وحسن التصوير والتوضيح للوقائع ، وهكذا أتت كتاباته إلى مضمار الإصلاح الريفي والفكري والاجتماعي في أوسع معانيها وأدقها .

التحول العصري

امتازت النزعة المعاصرة في الأدب الهندي بعدم التمايل إلى الأبطال وإن لم تكن معادية لهم ، وأما الكاتب الهندي الحديث فلا يرى فرقا في الشعور وإدراك الأمور في الشرق والغرب ، وأنهما يسيران في صوب واحد في آمال البشرية وآلامها . ويهتم الأدب الهندي المعاصر وكتابه بالرجل العادي وقضاياها ومشاكله ، ويفتخر بعاديته وبساطته في الحب ، والفرح والسراء والضراء والمطامح والأمانى ، ولا يرى تضادا في بساطة الأدب وجودته ولا يعترف بتناقض بين ميزته وشعبيته ، لأن الأدب الخالد ، هو الأدب الشعبي ، أو أدب الشعب ، والإنسان عادي وفريد في وقت واحد ، وهما صفتان متلازمتان تميزانه عن سائر الكائنات الأرضية والسماوية . وعليهما يتوقف نظام الكون ورفاهية البشر ، والقيم الإنسانية الحقيقية هي التي تصدر من إنسان عادي ، لا من بطل روائي أو نظري .

النثر في الأدب الهندي

إذا كانت مهمة الشعر تصوير الأمور بطريقة جذابة خيالية ، بحيث تحبب إلى القلوب وتقرب إلى الأذهان بطريق الأمثلة والتشبيهات الحسنة ، فإن النثر يهدف إلى توضيح الأمور كما هي بدون إفراط ولا تفريط ورائده العدل وقائده المنطق ويتطلب تفكرا عميقا وبحثا دقيقا ، مع الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة وأن النثر الذي في صورة الشعر – ما يقال بالنثر الشعري – لا يتمشى مع التطور الحديث في الأدب العالمي ، مهما كان نوعه وموضوعه نظرا لأهمية النثر العادي واللهجات الشعبية في التمثيليات والقصص والمقالات والرسائل ، وانصرف الكاتب المعاصر عن تقليد الماضي في اختيار الأساليب المعقدة والتشبيهات العويصة ، والمعاني للصعبة في أذهان عامة القراء .

ومنذ عام ١٩٤٦ م صدرت مجلة أدبية هندية من "إله آباد" باسم "براتيكا" وبعد سنتين انتقلت إلى "دهلي" ومع قصر حياتها فقد تركت أثرا خالدا في التطور الحديث للأدب الهندي ، ونشأت في البلاد حينذاك طائفة من الكتاب في اللغة الهندية ، يعرفون باسم "باري مالا" وساهموا مساهمة فعالة في تحرير وتزويد "براتيكا" وكان كلهم أو جلهم منتمين إلى المذاهب "التجريبي" وقد استحققت الحركة الجديدة هذا الاسم ، لأن زعماءها كانوا يقومون ببحث عن القيم الإنسانية وتجربة مع الأخلاق البشرية في مختلف أدوارها وأطوارها ورجح شعراء هذه المدرسة أن تدعى أشعارهم أشعارا حديثة تجريبية .

وتبرعت مدرسة "برايجوادا" بأعمال أدبية قيمة إلى مكتبة الأدب الهندي ، مع أن الوهن قد تسرب إلى جدرانها لعدم وجود معارضة منظمة لها كما كانت من قبل الحركة التقدمية المنظمة ، وأصدرت هذه المدرسة عدة مؤلفات ومنشورات دورية قيمة وأعمالا أدبية أخرى نشطة . ومما هو جدير بالذكر ان كتاب هذه المدرسة قد عرفوا بأصحاب المذهب الفردي ، لأنهم كانوا يعطون أهمية خاصة لقيم الأفراد والمميزات الشخصية . وأتى هذا التنديد من قبل التقدميين الذين لهم مآرب ما في ذلك ، مع أن هؤلاء يعترفون كل الاعتراف بالحريات الشخصية والكلامية والفكرية ، وما إلى ذلك من مقتضيات القيم الإنسانية الأساسية وكما تطور حديث لا يخلو من الخلل ومحل الانتقاد لسبب أو لآخر . وما كنا مبالغين إذا قلنا بأن الكاتب المعاصر أكثر تحققا وتفهما وتوسعا في العلوم والمدارك

من سابقه ، لأن المجال الذي أمامه أسهل وأيسر ، وهو أقرب إلى الدقة في اختيار الأساليب وتدقيق المعاني ممن هو قبله ، وإن قيل عكس ذلك مع أن الشعر الحديث يهتم بقضايا المجتمع الحاضر ويبحث حول السجيا الإنسانية الماثلة أمام أعيننا بطريقة إنسانية عصرية .

رسم خط "ناجرى"

في فترة الحرب

حدث تطور خطير في فترة الحرب أيضا ، فلم يكن ذهنيا مثل "تشاواادا" أو موضوعيا مثل "براجاتي وادا" بل كان تحولا أساسيا نحو تقويم الإنسان وتهذيبه . وهو نشدان حقيقي لشخصية الإنسان وكرامته وذاتيته نتيجة للوعي الواسع والشعور المعنوي الهام ، فكانت الحركتان المذكورتان في الواقع أموجا طامحة لهذا الفيضان المتصاعد ، لأن "براجاتي وادا" كانت مظهرا – لرد الفعل

الناتج عن العاطفية المتضخمة وتخيلات "تشايا وادا" ، كما كانت الأخيرة رد فعل ضد المذاهب التربوية الناشئة والزاهدة التي كانت تسود العصر الذي سبقها ، وبعبارة أدق ، فكل هذا وذلك ما هو إلا آثار لتيار تطور جديد هام يدعى - قديما - نشدان الذاتية أو الوجود الشخصي ، ولم يكن هذا الوعي الإنساني وليد لغة أو بلد أو شعب بمفرده ، بل كان نتيجة التطورات العصرية في الغرب والروحيات المتطورة في الشرق . وهذا التحول الجديد قد رفض القيم التي كانت تعتبر من قبل مقدسة ذات حرية خاصة وكذلك تغاضى عن تقديس الأشخاص وعن منحهم مكانة فوق الطاقة البشرية وأعطى الأرجحية للتقدم الصناعي والعلمي ، واستنكر المذاهب التقليدية الوضعية التي تعرقل تقدم الإنسان في مرافق الحياة المختلفة . ولكن هذا القول لا ينطبق تماما على حالات بلد واسع عريق مثل الهند ، لأننا لا نزال نرى مئات المذاهب والآراء الأسطورية تحت على تقديس ما لا يستحق التقديس وتكبير ما لا يستحق من الأشخاص والمظاهر الكونية الأخرى مع وفرتها وكثرتها ، وانعكست تلك الآراء في الأب الهندي الشائع إذ ذاك في مناطق "مدهياديش" الواسعة الأرجاء .

القصة الشعبية

إن القصص الشعبية الهندية مخازن كبرى لعادات الشعب ومعتقداتهم ووجهة نظرهم نحو الحياة ، فلا تخلو لغة من اللغات المحلية في الهند عن قصص شعبية مليئة بمختلف مظاهر الحياة للطبقات العديدة والطوائف المختلفة في البلاد . وبسبب اختلاط الحضارات والمدنات الآرية والدرافيدية القديمة وغيرهما من الواردة والناشئة انتشرت سلسلة من القصص في طول البلاد وعرضها متشابهة في الأفكار ، ومتقاربة في أساليبها ونسقها ، وإن اختلفت اللغات واللهجات . وتجد فيها قصص تدور حول المواضيع المختلفة مثل المعتقدات والطقوس والاجتماعية والاقتصادية والأنظمة السياسية ، والدينية وغيرها والأدب الهندي - كسائر الآداب الحية الأخرى في العالم - يعطي أهمية كبرى للقصص الشعبي . لأنها تضع صورة صحيحة واضحة للحياة الشعبية أمام القارئ الذكي ، والهند كانت توجه - منذ القدم - اهتماما بالغا نحو هذا النوع من القصص ، وتتجلى فيها مظاهر الحزن والسرور والحب والعشق والمودة والعداوة والسعادة والشقاوة ، ومع أنها تفتح أمام الناس أبواب

المعلومات عن الأجيال الماضية والدروس القيمة التي تعتبر نبراسا في حياتهم ، وتساعد أيضا على إدخال السرور والبهجة في القلوب بمعرفة الطقوس والمراسيم العديدة لأهالي القبائل والقرى النائية عن العمران . ولهذه الأسباب وغيرها ، فقد احتلت مكانة مرموقة في الأدب الراقى ، وامتلات المكتبات العلمية والأدبية بهذا النوع الشائق من الكتب التي تسلي القلوب وتشحن الأذهان وتزودها بما يغنيها ويمتع .

الشعر الهندي المعاصر

إن الشعر المعاصر الهندي لمبني على فكرة الإنسان العادي وعناصره مشتقة من أفكاره وطرق حياته وأخلاقه ، بعيدا عن الآمال المعلقة في صرح السماء وعن التشاؤم أو التزهيد المتفشى في الآداب القديمة ، ويعترف بكرامة الإنسان وميزاته ومواهبه الفذة ، فلا ينسى صغر مركزه وقلة أهميته في هذا الكون الهائل الذي قد ترك هذا الإنسان المتفاخر المتفاخم ، كائنا حيا في غاية البساطة وصغر الحجم ، يدب فوق حفنة من التراب البالي في الكون الذي تحتاج بعض كواكبه إلى ملايين السنين لكي يصل ضوءه إلى هذه الكرة الأرضية مع كون سرعة الضوء أسرع الأشياء في الكون إلى يومنا هذا .

وإن مواهب الإنسان لعظيمة وهائلة وهو مخزن القوى والمقدرات . ويستطيع أن يشحذها ويصقلها حتى تصل إلى مكانة مرموقة في الحياة بشرط أن يدرك تماما ضعفه ومجال وهنه وإمكانية أخطائه وزلاته في الخطوات التي يخطوها إلى الأمام بسرعة فائقة . ولهذا كله يهتم الشعر الحديث بترقية القيم الأخلاقية للإنسان بدون أن يخادعه بآمال كاذبة ، ويكاشفه بما هو ليس في متناول يده .

لغة الأردو

"الأردو" إحدى اللغات الحية السائدة في شبه القارة الهندية ،، بينما يتحدث بها مئات الألوف من الناس في كل من أفغانستان وبورما والملايو وسيلان والخليج العربي وجنوب أفريقيا ، وتكتب الأردو بخط عربي ، وتحتوي ثلاثين في المائة من الألفاظ العربية ، واعترفت بها الهند كإحدى اللغات الوطنية الدستورية للبلاد وكما أنها اللغة الرسمية لباكستان .

نشأت الأردو في الأراضي الهندية ، وتكونت أجزاءها من عدة لغات هندية وأجنبية ، فيقال بوجه عام بأنها مزيج من اللغات الأربع الآتية : السنسكريتية والفارسية والعربية والتركية ، وهذه الدعوى قائمة على القياس والمظاهر اللغوية ، ولكن الوقائع التاريخية وآراء علماء اللسان – من الهنود والأجانب – لا تؤيد هذه الدعوى الشائعة . ولدى هؤلاء المحققين أن لغة "الأردو" كانت في نشأتها مزيجا من اللغات الآرية الحديثة واللهجات المحلية القديمة ، ومن اللغات التي تركت أثرا فعلا في بناء لغة "الأردو" " السنسكريتية" و"برج بهاشا" و "راجاستانية " و "كشميرية " و "بنجابية" ولهجات شتى لأهالي "دلهي" وضواحيها مثل "هريانا" و"كهري بولي" و "ميواتي " وغيرها .

وبعد وصول المغول إلى الهند واستقرار حكمهم فيها تشكلت هذه اللغة بشكل خاص ، وبدأت الكلمات الفارسية والعربية والتركية تتسرب إليها وكتبت بالحروف الفارسية ، كما هو الحال في البنجابية والكجراتية والسندية . وإن كتابة بحروف خاصة لن تكون دليلا على مصدر تلك اللغة ، لأن الحروف ليست من الأجزاء الحقيقية للغة مطلقا ، ويمكن أن تكتب أية لغة بحروف لغات أخرى، وأما الخط فشيئ مستقل بذاته فما الحروف إلا وسائل لتنسيق الأصوات ، والخط عبارة عن مجموعة من النقوش التي تدل على الكلمات ذات المعاني ، وأكبر دليل على ذلك "الحروف الرومانية" المستخدمة في معظم اللغات الأوروبية مع اختلاف بين في معاني الكلمات ومفاهيمها . وقد مرت أيضا عدة تطورات في خط الحروف السنسكريتية . فكانت تكتب أولا بالخط "البرهمي" ثم

الخط "الخاروشي" وتبعته خطوط شتى مثل "أشوكا" و"كوتيا" و"بلوا" و"سارا سواني" و"سردا" وكل هذا وذلك لم يحدث تغييرا ما في الأساليب والمعاني ، حتى في يومنا هذا تكتب لغة من لغات الهند – في عدة أشكال من الحروف .

وإذا ثبت من المستساغ أن تكتب أية لغة في حروف اللغات الأخرى ، فلا يدل الخط على مصدر لغة أو أجزائه المركبة ، وهنا أمر آخر يجب أن نضعه نصب الأعين عند البحث عن لغة أو فيها ، وهو مدى تأثير اللغات الراقية في اللغات الأخرى ، وهذا ليس ببدع في تاريخ اللغات والثقافات ، فكان من طبيعة الحضارات البشرية في كل دور من الأدوار المدنية تبادل الأفكار والنظريات والأساليب والكلمات ، واللغة التي تتمسك بتراتها القديم وتسد أبواب الاستفادة وتعيش في منأى عن طرق اللغات الشقيقة – سيما الراقية منها – تحرم نفسها من التزعرع والازدهار ، وتختلف عن ركب الحياة المتطورة وتكون في ممر الأيام جامدة تمجها الأسماع وتلفظها الألسنة .

اسم "أردو"

ولم يطلق اسم "أردو" على اللغة الأدبية السائدة في دلهي وضواحيها إلا في القرون الأخيرة ، بعد أن بلغت درجة الوطنية العامة بأيدي الجيوش التي توجهت من عاصمة دلهي ، والشعراء والأدباء الذين اتخذوها مطية لكلامهم وكتبهم . وأكبر دليل على جدة هذا الاسم كتب العلامة "البيروني" الذي قام برحلة طويلة في أنحاء الهند ، عالما باحثا ومحققا واعيا ، من عام ١٠١٧ – ١٠٢٩ للميلاد وصار بمثابة حجة في الشؤون الهندية في تلك العصور ، واستخدم كلمة "الهندية" في معرض الكلام عن اللغات الهندية ، مع كونه عالما متقنا في اللغة السنسكريتية وعلومها وآدابها ، وأن الألفاظ والمصطلحات العديدة ، التي وصلت إلينا عن طريق "البيروني" ليست من السنسكريتية ، بل من اللغات الدارجة حينذاك ، من البنجاب الغربية إلى ملتان والسند ، ولا يزال معظم تلك الألفاظ مستعملة في الوقت الحاضر ، في لغات هذه المناطق .

وإذا ألقينا نظرة عامة على الموقع الجغرافي لمدينة "دلهي" فيتبين لنا أنها كانت ملتقى عامما لبرج بهاشا وهرياتي ، وكهري بولي، وميواتي .

وأما "دلهي" أو "دلي" التي كانت عاصمة "راجبوت" فكانت واقعة في مناطق "هريانة" وجاء ذكرها في آداب "بهرنش" باسم "دلهي" وكانت "دلهي" التي هي عاصمة "شاجهان" على بعد بضعة أميال في الناحية الشمالية المذكورة ، وكان سكانها من الناطقين بلغة "برج بهاشا" وهكذا تكونت اللغة الهندستانية المزيجية من البنجابية والهندية الشائعة في المناطق الغربية الشمالية ، وبروج بهاشا، وكهري بولي ، وهريانية ، ميواتية ، وطارت آثارها الأدبية إلى شتى أنحاء الهند . واتخذت مكانة اللغة الوطنية العظمى .

نشأة أردو

وأما لغة "أردو" الحاضرة فهي نفس لغة دلهي "كهري بولي" ولكن الاسم هو الجديد ، ومعناه "المعسكر" لأنها ترعرعت وتطورت في عاصمة الهند ، محط الجيوش والعساكر ، ثم انتشرتت بأيدي الجيوش المرابطة في مختلف مراكز الدولة ، وبصفة كونها لغة العاصمة والدولة والجيوش نالت مكانة كبرى في طول البلاد وعرضها ، وتسابق فيها الشعراء والأدباء الصوفيون المبشرون الدينيون لإظهار أفكارهم ووضع كتبهم ودواوينهم .

وأما الصوفيون المسلمون والنساک الهندوس والسيخ فقد اتخذوها مطية لمبادئهم ودعواتهم ، ووسيلة لنشر آرائهم ونجد شواهد بينة على هذا من كلام "كبير داس" و"نام ديو" و"جرونانك" و"الأمير خسرو" .

وامتازت القرون الوسطى للهند بحركات دينية عديدة ، وفي مقدمتها الحركة الدينية "بهجتي" التي اتخذت طابعا عالميا ، واختار زعماءها لغة تصلح لأن تكون حاملة لدعوة عالمية ، فاتخذ "نام ديو" في "مرهوارى" و "كبيرداس" في المشرق و"جرونانك" في بنجاب و"خسرو" في دلهي ، اللغة

الأردية المعروفة بلغة "دلهي" والتي انتشرت بأيدي الجنود والتجار بأحاء الهند من عاصمة دلهي ، في أفق البلاد الواسع ، وعلى من يتوق الاطلاع على هذه الحقيقة ، مطالعة أشعار "كبيرداس" وكلام "نام ديو" ودواوين "جرونانك" وهي بمثابة دليل قاطع على أن جذور "أردو" قد تأصلت في "دلهي" قبل أن يفتحها "بابر" – أول الأباطرة المغول – في عام ١٥٢٦ م ، فكان فطاحل الشعراء فيها يتوافدون إلى بلاط "بابر" و"همايون" و"أكبر" وغيرهم فكانوا يحترمون ويكرمون وفادتهم .

مكانتها الأدبية

كانت تسود المناطق الشاسعة الممتدة فيما بين بنجاب وبنغال لغة واحدة من الناحية الأدبية والعلمية ، فيقال بأنها كانت مبنية على اللهجات التي يتحدث بها أهالي دلهي وميرت وحواليهما ، وفي مقدمة تلك اللهجات "كهري بولي" و "برج بهاشا" و "البهارية" و "البنجابية" ولم تكن فيها لهجة وصلت إلى درجة أدبية ، ولا يجد الباحث في تلك المناطق من ضمن اللغات الأدبية إلا "الأردو" أو "الهندية" وكلاهما منحدر من "كهري بولي" السائدة في تلك البقاع الواسعة .

وجدير بالاستعادة إلى الأذهان أن المكانة الأدبية التي أحرزتها "كهري بولي" لم تنلها لغة ما في تاريخ اللغات الهندية ، وعلى رغم هذه الدرجة المرموقة لم تحز "كهري بولي" مكانة اللغات المحلة السائدة في مختلف المقاطعات ، وفي الواقع كانت حالات اللغات يشبه بعضها بعضا في جميع الأزمنة والأمكنة فإن بروز لغة ذات أدب وعلم وافر من بين اللغات واللهجات العديدة في شتى جهات بلد أو قارة لمن العادات التي يتطلبها حكم الطبيعة ، ولكن من الأمور المسلم بها أن المد والجزر لهذه اللغة يتأثر كثيرا بالتطورات السياسية الجارية في العالم بوجه عام "وفي مراكزها بصفة خاصة .

وكانت الفترة التي مرت بها الهند منذ وصول الآريين إليها قبل ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد إلى عهد استقرار حكم المسلمين فيها في القرن الثامن للميلاد فترة قيام إمبراطوريات جديدة وانقراض أخرى ، وشاهدت الهند خلالها تقلبات الدول وتطورات سياسية هامة في ربوعها .

وعند ما يفوز قوم بتأسيس حكم خاص لهم في جهة من جهات القارة الهندية فبحكم الطبيعة تترعرع لغتهم وتحتل مكانة اللغة العلمية والأدبية ، بل والرسمية في الهند كلها ، أو جلها ، ففي عهد "أشوكا" تقدمت لغة "ماكدهي براكتيه" بطريق ملحوظة ، وتركت أثرا فعالا في جميع اللغات "البراكرتية" السائدة في الجهات الغربية للهند ، وفي عهود حكام "هرش" و "راجبوت" انتشرت "شور سيني أب بهرنش" و "برج بهاشا" في شتى بقاع البلاد ، وصارت لغة أدبية ذات قيمة عظمى لدى الأدباء والعلماء والساسة على حد سواء ، وكذلك تعد "كهري بولى أي" الهندستانية " إلى يومنا هذا لغة سائدة في كثير من نواحي الهند الشمالية ، وذلك - بدون شك - نتيجة لاتخاذ الحكام المسلمين مدينة دلهي عاصمة لدولتهم .

تطوراتها

كانت الحركة الوطنية التي اندلعت في عام ١٨٥٧ م نقطة تحول في تاريخ اللغة الأردية وانهارت الأمبراطورية المغولية وتسرب الوهن والخمود إلى القيم الثقافية التي كانت تدافع عنها وتشجعها خلال القرون الثلاثة التي سبقتها ووصلت بريطانيا إلى الهند مع جميع مصادرها الصناعية الثورية وفي حوزتها العلوم العصرية والتكتيكية فوطدت أركانها أولا في شتى مرافق الحياة فيها حتى صارت في موقف تستطيع فيه استغلالها لتحقيق أهدافها المنشودة ، وبدأت العادات القديمة والنظام التقليدي والوسائل الأهلية للحياة تتخلى عن مكانها لنظام جديد غير معروف في البلاد ، وهذا التطور قد قرب الطبقة المثقفة فيها إلى العلوم الغربية والثقافة الأوروبية ، فأحدث كل هذا وذاك تغيرا شاملا في حياة الهند الاجتماعية والاتجاه الذهني .

أدى تدفق الاستعمار البريطاني إلى صدام عنيف في المصالح الداخلية والخارجية في الميدانين الاقتصادي والسياسي .

وأما ثورة عام ١٨٥٧م فلم تكن حدثا فجائيا أو مجرى عاديا في مجال التاريخ ، بل كانت نتيجة لنفاد مدى الصبر والتحمل في وجه المقاساة والمشكلات التي كانت تعانيها الشعوب الهندية من نير الاستعمار الأجنبي سياسيا وثقافيا ، ولم تكن ثورة عسكرية بل ثورة عامة ضد النفوذ الخارجي في الشؤون الأهلية للوطن وفتحت الأبواب على مصاريعها أمام كفاح مستمر في المستقبل لأجل الحرية الكاملة وبعد عام ١٨٧٠م برزت قوى اجتماعية جديدة في شتى أنحاء البلاد ، ففي عام ١٨٨٥ م أتى المؤتمر الوطني الهندي إلى حيز الوجود .

وامتازت الفترة التي بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٨٠ م بانبعثت عدة قوى شعبية ونهضة الصحافة الوطنية ، والتقدم الصناعي والزراعي ، وتأثرت الطبقة المتوسطة المتنورة المتعلمة والعقول المتحررة بالثورات الأمريكية الشعبية لأجل الحرية والكفاح الإيطالي للتحرر الوطني من الحكم النمساوي ، ولعب هؤلاء الأحرار الهنود دورا هاما في سبيل الكفاح القومي وفي سبيل الاستقلال ، ولكن البطالة المتزايدة في البلاد وعدم التنور الشعبي أو قلته لم تسرع بإشعال حماس الوطنية في عامة الشعب ، ولم تدخل الحركة الوطنية إلى نطاق واسع ، ولم تبدد الغيوم من سماء الوعي القومي إلا بعد عام ١٩٠٥ م ، فكانت الفترة التي تلتها إلى عام ١٩١٨ م نقطة تحول في تاريخ استنهاض الوعي الوطني والفكرة القومية في قلوب الشعب وتوطيد أركان الحرية الوطنية في شتى أنحاء البلاد.

تحولها الجديد

من أهم العوامل التي أدت إلى هزة دعائم الأمبراطورية البريطانية في الهند الحرب العالمية الأولى والأزمات الاقتصادية التي تلتها والثورة المندلعة لأجل الحكم الذاتي وغيرها . وأما قانون الحبس الاحتياطي الخاص وعهد الأحكام العرفية في بنجاب ، وحركة الخلافة فقد تركت أثرا كبيرا في تيار مجرى الحركة الوطنية والوعي القومي واضطرت الحكومة إلى اتخاذ إجراءات شديدة قاسية ضد زعماء الحركة السياسية لصيانة مصالحها الاستعمارية ومطامعها الاقتصادية ، ومقدرتها السياسية وصادرت عدة مجلات وصحف تنطق بلسان الحركات الشعبية ومنها "الهلال" لمولانا آزاد ، و "كومريد" (الزميل) و "همدود" لمولانا محمد علي واعتقلت أيضا الشخصيات السياسية البارزة

في عام ١٩١٥ م ، وأيد المهاتما غاندي حركة الخلافة بحماس بالغ . وفي عام ١٩٢١م بدأ المهاتما غاندي حركة "عدم التعاون" المعرفة ، وهكذا استمرت الحركات التحريرية واشتدت وطأتها وتوحدت عناصرها حتى نالت الهند استقلالها الكامل في عام ١٩٤٧ م ولسبب أو لآخر ، فقد أدت الظروف وساعد القدر لتقسيم القارة إلى الدولتين الهند والباكستان . وأما مدى الأثر الذي تركه التقسيم في بالنهضات الأدبية والعلمية لكلا البلدين فأمر بتدبيره الأيام .

كانت لغة "الأردو" وأدبها من الأشعار والتمثيلات والقصص والروايات ، تساهم مساهمة فعالة في جميع أدوار الحركات الوطنية وكفاح التحرير في الهند ، وسجلت صفحات بيضاء في مراحل تاريخ التطورات السياسية والشعبية فيها ، وصارت بمثابة مرآة تنعكس فيها مطامح الشعب وآمالهم ووجهات نظرهم واتجاهاتهم الذهنية ونظرتهم نحو الحياة . وإن انتشار العلوم الغربية والثقافة الأوروبية في الشرق قد ترك أثرا فعالا في الآداب الشرقية وأهدافها ، وحدث تطور هام – بحكم الطبيعة – في اللغة الأردية وأدبها في منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت تلك الفترة – بحق - بمثابة بداية تحويل جديد هام في تاريخ "الأردو" وأدبها ، ونهض نفر من فطاحل الكتاب والشعراء فيها لإدخال العلوم العصرية والاكتشافات الغربية في الآداب الأردية ومكتبتها ، ولكن بدون أي تغيير أساسي في الأساليب المعروفة والطرق التقليدية التي امتازت بها طوال المراحل التي مرت بها منذ نشأتها ، ولم يكن هدفهم الوحيد إلا جعلها متمشية مع أساليب النهضة العصرية الحديثة ، ومطابقة لواقع الحياة ومرافقها .

وهكذا دخلت "الأردو" في دور الإصلاح والتجديد ، وققد أصبحت فعلا مظهرا حيا لميول الشعب وأمانيه ، كما أن لها أهمية كبرى في ميدان نشر روح الانسجام والود والوئام بين مختلف الطوائف والجماعات في شبه القارة وتساعد على توطيد أواصر المحبة والتفاهم بين شعوبها .

الهندوستانية

"الهندوستانية" بالمعنى العام لغة مشتركة من "أردو" و "الهندية" الحالية ، وكانت تعرف من قبل باسم "كهري بولى" وما نرى إلا فرقا دقيقا بين الهندية والأردو ، نجد النفوذ السنسكريتي أكثر في "الهندية" منه في "الأردو" وأما اختلاف الخط فلا يعتبر – كما أسلفنا – دليلا ماديا لى اختلاف اللغات ، وكل من الهندية والأردو وليد "شورسينى أب بهرنش" ، وقيل بأن اللغات الهندية المحلية العديدة الحاضرة منحدرة من نفس الأصل (شورسينى أب بهرنش) مثل راجستانية وبنجابية وكجراتية واللهجات القبلية السائدة في شرقي الهند ، وأما اللغات البيهارية والآسامية والبنغالية والأورية فيرجع أصلها إلى "ماكد هي أب بهرنش" ومعنى هذا كله أن اللغات الهندية الراهنة توجد بينها وبين "أب بهرنش" قواعد مشتركة وأساليب عامة فليس المعنى أنها كانت لغة واحدة قبل أن تتخذ أشكال اللغات المختلفة المستقلة الراهنة ، بل هو أمر محال وقوعه في بلاد واسعة الأرجاء مثل شبه القارة الهندية .

لغة تامل

ولغة تامل يتحدث بها أكثر من ثلاثين مليون نسمة في مقاطعة مدراس (تامل نادو) بجنوب الهند، وهي لغة غنية بأفكار جديدة، وحية بأداب ناهضة حديثة، وتبلغ مساحتها حوالي ٥٠١١ ميلا مربعا، ويتشكل الأدب التاملي من أفكار الآداب الحديثة ويستلهم مواده من حياة الشعب الواقعية.

وأما القرن العشرون فهو قرن النهضة الأسيوية بوجه عام، ويمتاز بالحركات التحريرية والكفاح الوطني. ويقال بأن الإنتاج الممتاز في هذا الأدب ينعكس في الأغاني الوطنية القائلة "لا نقبل عبودية أحد، ولا نخاف الموت في سبيل العزة والكرامة، وهكذا كان يهتف متطوع قديم من جنوب الهند إذ كان يكافح في سبيل الحرية والسيادة ضد ملوك "بلاواس" في الزمن القديم.

فلا عجب في أن يعتنق التامليون مبدأ غاندي منذ أن بدأ حياته الشعبية في جنوب أفريقيا. ووجدوا في تعاليمه وآرائه تقاربا قويا للتراث التاريخي الذي ورثه التامليون جيلا بعد جيل. وكان "بهارتي" من أشهر الشعراء في تامل الذين يمجدون الوطنية والإيمان بقوة تهيمن على العالم كله. وكان بهارتي يدعو إلى فكرة وحدة الوجود وهو يربط برباط وثيق بين الوطنية والدين ويقول بأن الوطنية يجب أن ترقص بنغمة الموسيقى الإلهية. وإن محبة أهالي الجنوب لوطنهم وإخلاصهم نحو لغتهم قد ساعد كثيرا على تقدم الأدب واتصافه بأفكار متطورة جديدة حتى أصبح الآن صورة حية ينعكس فيها جميع مرافق الحياة البشرية من الدين والمجتمع والسياسة والاقتصاد والعادات والطقوس الراجحة بين أوساط الشعب قديما وحديثا. ولا ينبغي أن يكون الأدب وقفا على طبقة معينة، بل يجب أن يكون مشاعا بين طبقات الشعب كلها. ولا يأتي ذلك إلا بطريق رفع مستوى التعليم، وقراءة الصحف والمجلات، ونشر السينما والراديو، وتوزيع الكتب والرسائل بأثمان رخيصة وهذا هو الطريق الوحيد لنشر الأدب وتعميم الثقافة في البلاد. ولا يحسن بنا أن نتجاهل الأدب القديم على حساب إحياء الأدب الحديث، فنعيد الآن - مثلا - قراءة القصص القديمة ونستمع إلى تعاليم "بوذا" و "رام" للاستعادة إلى الأذهان ذكريات النظريات الحديثة. وكان "كالكي" روائيا مشهورا يكتب في مواضيع شتى توقظ الضمائر لدى عامة الناس. وتشهد همهم، بينما كان "تي. في. كليانا سوندرام مدليار" صحفيا ماهرا في ميدان الوطنية يحيي الأدب التاملي في نمط حديث، بعيد عن

تقاليد السنسكريتية . ويذكر بصفة خاصة من مشاهير الكتاب المحدثين في تامل اسم السياسي الكبير والفيلسوف المعروف "سرى راج جو بالاشارى" .

مميزات "تامل"

إن "تامل" لغة ذات قابلية عجيبة لاقتباس الألفاظ والاصطلاحات الأجنبية وإدماجها فيها بطريقة لا يرى لها أثر يذكر على مر الأيام . وأكبر دليل على ذلك "دائرة معارف التاملية" المحتوية على جميع الاصطلاحات العلمية الحديثة أو – على الأقل – على معظمها . وهذا التحول العلمي هو سبب رئيسي للنهضة الأدبية في الدور الحديث . وللأدب النقدي أيضا مكانة عظيمة في تامل ، ومن النقاد المعروفين فيها "كليان سوندرام مدليار" الذي يعتبر أبا للأدب النثري في لغة تامل ويليه "ت . ك . شتامبارا مدليار" وتعد قصيدة "ماراي ملاي أرجل" من الأشعار الكلاسيكية التي تعطينا فكرة عامة عن الأشعار القديمة ، بينما تحتل الموسيقى والأغاني الشعبية مكانة ممتازة في الأدب التاملي . فتعقد المجالس الندوات الشعرية وحفلات الرقص والغناء في عدة مناسبات . وتعقد حلقات خاصة للمسابقة الموسيقية والغنائية . وكل هذا وذلك يلعب دورا هاما في ميدان النهوض بالأدب ونشره بين الطبقات المختلفة ، وأما الأغان الشعبية الشائعة في اللغة الدارجة فلها أثر بالغ في نشر الأدب بين الريفيين . والفنان الشعبي يأخذ الآن بزمام الأدب الشعبي .

التمثيلية

تعرف التمثيلية في لغة تامل باسم "درشياكاويا" ويقول التاملليون إنها قديمة قدم الإنسان على وجه الأرض والتمثيلية في تامل تنطوي على الموسيقى والرقص والغناء . والتمثيلية الشعرية و "منون منيم لسوندرابلاي" تعتبر أروع التمثيليات الشعرية التي كتبت إلى الآن . مع أن عددا من الكتاب المهرة لا يزالون يكتبون تمثيليات تتناول مختلف شعب الحياة اليومية في المدن والقرى ولكنها لم تتل من الشيوخ ما نالته "منون منيم" على المسارح .

وللكاتب الكبير "سمباندامديار" حوالي خمسين تمثيلية وإن لم يكن معظمها في غاية الجودة من الناحية الأدبية ويدور كلها حول تصوير الوقائع الجارية في الحياة العامة ، وأساليبها حرة وفصولها غنية بالأفكار الحديثة ، ومما هو جدير بالذكر أن المؤتمرات السياسية والحفلات الاجتماعية والمجالس الدينية تهتم بالتمثيلات والروايات أو الرقص والغناء وإن السينما مع ذبوعها البالغ في البلاد لم تؤثر كثيرا في التمثيلات التقليدية ولم تحط من قدرها .

وأثرت النهضة الجديدة في أدب تامل تأثيرا كبيرا ودخلت الموسيقى التاملية في دور هام منذ بضع سنين ، وقامي حركة خاصة لإحياء الطرق الموسيقية ونغماتها الخاصة بعد موتها حتى أصبحت لها مكانة مرموقة مرة أخرى في البلاد . والآن يستطيع الأدب التاملي أن يزودنا بأحسن أنواع الموسيقى القديمة والحديثة معا ، ومن النغمات التاملية المشهورة "رادادا" و"أباديا" . ونشطت في السنين الأخيرة حركة لترجمة من القصص والروايات الأجنبية ، ومنها روايات غربية مثل روايات "تولستوى" و "هاردي" وغيرها ومنها روايات كتبت في لغات هندية أخرى . وفي "تامل" روايات عديدة تتناول أهم الحوادث التاريخية مثل روايات "كالكي" عن ملوك "بلاوا" و "وجولا" ورعاياهم . وكذلك نجد فيها روايات أخرى سيكولوجية .

التحول الجديد

إن بداية حركة التحرير الوطني في الهند قد شحذت العقول وأيقظت الكتاب السياسيين وحركت أخيلة الشعراء فبدت حياة جديدة في الأدب التاملي أيضا ، وصدرت قصص وروايات عديدة تناسب الجو السياسي السائد في البلاد ، ويحاول البعض ترجمة مؤلفات طاغور وغيره من مشاهير الكتاب الهنود . وبالجملة فإن التمثيلات والروايات والقصص لهي الثالوث الذي يتزعم النهضة الأدبية التاملية في العصر الحديث .

مكافأة الأعمال

(قصة شعبية من "تامل نادو" - مدراس)

كان ملك يعيش مع ولدين له توفيت أمهما وهما صغيران ، وعاش الملك مدة حياته كلها هانئاً سعيداً بزوجته التي يحبها من كل قلبه . ولما مرضت وساءت صحتها كثيراً ، دعا الملك جميع الأطباء في مملكته ولكنهم عجزوا أمام مرضها فحزن الملك كثيراً ولازمها ليلاً ونهاراً وهو في غاية الحزن ، ومرة طلبت وليدها إلى سريرها وبدأت تقبلهما وتحنو عليهما . وثم قالت للملك الذي امتلأ قلبه حبا وحنانا : إني أطلب منك أيها العزيز ألا تتزوج بعد موتي ، فإني أخاف ألا تعامل ولدي هذين بعد أن تتزوج معاملة طيبة ، فوعدها الملك بذلك وأقسم لها بالله .

وبعد زمن من وفاة الملكة ، خطر على بال بعض وزراء الملك ومستشاريه أن يطلبوا إلى الملك أن يتزوج مرة أخرى . وتقدموا إليه بهذه الفكرة . فقال له الوفد المؤلف من الوزراء والمستشارين : إن الشعب في طول البلاد وعرضها يرغب في الاحتفاء بملكة جديدة إذ لا يجوز لملك يحكم مملكة واسعة أن يعيش زمناً طويلاً بلا ملكة ، وبعد إلحاح شديد من الشعب وافق الملك على ذلك ، فتزوج من ابنة أحد أعيان البلاد ، كانت آية من الجمال وكمال الصحة ، لكنها غير مثقفة ، وغمر الملك متع الدنيا وزخارفها حتى نسي الوعد أعطاه للملكة السابقة .

وشب الأميران (ابنا الملك) وبلغا رشدهما وكانا على جانب من الجمال فإذا بزوجة أبيهما الملكة الشابة تحبهما وتفاتحهما يوماً في الأمر بكل دناءة وخبث ولكن الأميرين الصغيرين لم يلبيا رغبتها الدنيئة . ونصحاها بالتخلي عن مثل هذه الرغبات الدنسة وقالوا : إنك زوج أبينا الملك فنحن أولادك وأنت أمنا وراحت الملكة تحاول وتسعى لاستهواء الأميرين الوسيمين . وكلما اشتد أعراضهما اشتد حبها الجارم ، وأخيراً يئست منهما وبدأت تدبر المؤامرات لهما بكل صمت ومكر ، لقد قررت أخيراً أن تنتقم منهما . فأضمرت في قلبها أن توقع الأميرين في كمين .

وفي يوم من الأيام تظاهرت بالغضب والحزن أمام الملك وأبدت له في دلال وأسف بالغ بأن ولديها الأميرين يسيئان معاملتها ويتقاربان إليها بالأفعال الشنيعة والتمست من الملك أن ينقذها من أفاعيلهما ويباعد بينها وبينهما فوراً . ولما سمع الملك هذا النبأ العجيب اشتد غضبه . وقرر أن يقتل الأميرين . فأمر الجلاد أن يأخذهما إلى الميدان ويقطع رأسهما ، ولم يكتف بذلك ، بل طلب منه أيضا أن يأتيه بقلبيهما .

وذهب الجلاد بالولدين إلى الميدان واستفسر منهما في الطريق عن الأسباب المؤدية إلى هذه الفاجعة العظيمة . فقص عليه الصبيان الأميرين تفاصيل القصة وانتبه الجلاد إلى حقيقة الأمر وقرر في نفسه أن يعمل شيئا يساعد على إنقاذ الولدين وإرضاء الملك ، فأطلقهما ليفر إلى خارج المملكة . وأخذ كليين من كلاب اللطريق وذبهما وأخرج قلبيهما وأتى بهما إلى الملك ، وقال إنني نفذت في الأميرين حكم جلالتك وهذان قلباهما ، أما الصبيان الأميران فذهبا إلى مملكة أخرى خارج بلاد أبيهما فرارا من الموت المحقق ، يتيهان في الأرض ويكسبان الرزق بعرق جبينهما وفي يوم من الأيام ذهبا إلى قصر الملك الذي يحكم تلك البلاد ، وطلبا إليه أن يسند إليهما عملا مناسباً يكون عوناً على أن يعيشا حياة كريمة هادئة ، فعينهما الملك حارسين خاصين لغرفة النوم الملكية وبهذا أصبح تعداد الحراس القائمين على حراسة المخدع أربعة أشخاص .

وبينما كان الأخ الأكبر يحرس غرفة الملكة في ليلة من ذات الليالي لمح في سقف الغرفة ثعبانا يتدلى تجاه سرير الملكة وخاف أن يصيبها بضرر أثناء نومها ، فقطع الثعبان بسيفه إرباً إرباً ، فرأى الدم يتقاطر على فراش الملكة واقترب من السرير ليمسح آثار الدم من الفراش ، وبينما كان يمسح الدماء دخل الملك بدون توقع ، ورأى الحارس بجانب فراش الملكة شاهراً سيفه وتسربت الشكوك والظنون إلى قلبه ، وأمر فوراً بزج الحارس في السجن بدون أن يتيح له الفرصة لبيان حقيقة الواقعة والدفاع عن نفسه .

وفي اليوم التالي جاءت نوبة الحارس الآخر ، وسأله الملك ماهي العقوبة التي يستحقها رجل يخون سيده ؟ فأجاب الحارس بأن عقوبته يجب أن تكون القتل ، ولكنني أريد أن أقصي على جلالتك قصة سمعتها من أهالي المدينة ، وتقول الحكاية أن صيادا ذهب للصيد ومعه صقره المدرب ، وأثناء

تجواله في الغابات أصابه عطش ، فذهب ليشرب الماء من ترعة قريبة من الغابات وكلما هم بالشرب منها ضربه الصقر على رأسه بجناحه ضربة شديدة ، ولما تكررت هذه الحالة غضب الصياد فضرب الصقر ضربة قاسية مات على أثرها ، وأخيرا لما أمعن النظر في التربة رأى في شاطئها حية تنفث سمومها في الماء . فعلم الصياد أنه لو شرب منها مات في الحال ، وكان الطائر يعمل على إنقاذه ، وندم على قتله .

وفي اليوم الثاني سأل الملك حارسا آخر : ما رأيك في الشخص الذي يغدر بمولاه ؟ فأجاب الحارس : يجب أن يقطع رأسه ، ويفصل عن جسده ، ثم قص الحارس على الملك قصة مماثلة ، فقال : إن رجلا كان يضيق بكلمه لأن الكلب بدأ يمنع بعض أصدقائه من الدخول عليه ، ولما ازدادت معاكسة الكلب له قتله . ثم أدرك الرجل أن الكلب كان يفعل ذلك لدفع الضر عن سيده ، فندم على قتله .

وفي اليوم الثالث جاء دور شقيق الحارس المسجون ، وسأله الملك أيضا كما حدث في اليومين السابقين عن خائن يخون مولاه الذي يثق به وأجاب الحارس الشقيق أن جزاءه ينبغي أن يكون قاسيا ، ولكنني أرجو من جلالتم أن تتيحوا لي فرصة لأبين لكم تفاصيل قصته لعلها تعجب جلالتم : كانت هناك ملكة لها ولدان صغيران ، وكان الملك يحبها حبا جما ، وفجأة مرضت الملكة واشتد مرضها ويئست من الحياة ، ولما شعرت بدنو أجلها طلبت من الملك ألا يتزوج مرة أخرى بعد موتها ، بل يكرس أيامه للعناية بولديهما . ووعدها الملك بذلك وماتت الملكة فرحة مستبشرة ومضت الأيام ولم يفكر الملك في اختيار زوجة أخرى ، وكان منهما في رعاية الولدين الأميرين صغيرين وبعد مدة طويلة طلب منه بعض وزرائه وأعيان مملكته أن يتزوج مرة أخرى ، وأن البلاد ترغب في الاحتفال بملكة جديدة . وبالحاح من هؤلاء وافق الملك على اختيار شريكة له في حياته . وتزوج شابا حسنا لاحد أعيان مملكته وكانت ماهرة شريرة ، ومال قلبها إلى الأميرين الشابين ، بدأت تلاطفهما لتوقعهما في حبها ، ولكن الأميرين امتنعا عن هذا ، وقالوا لها : إنك زوج أبينا ونحن كأولادك ، فلا ينبغي لنا أن نقف منك هذا الموقف ، وكلما ازدادت إلحاحا ازدادا امتناعا . وأخيرا قررت الزوجة الماهرة أن تنتقم منهما . ولفقت لهما التهم ووشت إليه بهما . فاغتاظ الملك وأمر بقتل الأميرين ،

وأثناء سيرهما إلى ساحة الإعدام سألهما الجلاد عن حقيقة القصة التي أدت إلى هذا الحكم الخاص من أب على فلذات كبده . ولما أوضحنا له الواقعة رق قلب الجلاد وأفرج عنهما . ففروا هاربين إلى مملكة أخرى . وأخذ الجلاد كلبين وقتلهم فأخرج قلبيهما ثم قدمهما إلى الملك قائلاً : إنهما قلبا الأميرين ، ولما وصل الأميران إلى مملكة أجنبية بدءا يبحثان عن عمل يناسبهما فتقدما بطلب إلى ملك تلك البلاد حول هذا الموضوع فتفضل جلالته بتعيينهما حارسين له ، وعندما كان الأكبر يقوم بمهمة الحراسة أثناء الليل رأى حية تتدلى من السقف فوق سرير الملكة ، وخاف أن تصيب بالأذى الملكة النائمة ، فأسرع بنفسه وقتل الحية بسيفه حرصاً على حياة الملكة المعظمة ولما رأى الدم يتساقط على فراشها من السقف خف إلى السرير يمسح الدم من فراشها لئلا يلطخ ثوبها ويزعجها عند يقظتها ودخل الملك غرفة نوم الملكة فجأة ، فرأى الحارس يقف بجوار سرير الملكة وفي يده سيف مسلول ، فأوجس في نفسه الريبة ، فأودع الحارس في السجن بمعاقبته بدون أن تتاح له فرصة لشرح الواقعة وبيان الأسباب التي أوجتته إلى الاقتراب من فراش الملكة أثناء نومها . ثم قال :

أيها الملك المعظم ، إن هذا الذي حدث لأخي الأكبر في الليلة السابقة ، ولا تزال قطع الثعبان المقتول موجودة تحت السرير ، والأمر إليك يا صاحب الجلالة ، وقصة الأميرين هذه هي قصتنا ، والحارس الموضوع الآن في السجن هو أخي الأكبر .

ولما تأكد الملك من صدقه فرح فرحاً شديداً ، وعين الأميرين الشقيقتين الأمينتين في وظائف رفيعة، فعين أحدهما وزير المملكة ، بينما عين الآخر مستشاراً ملكياً ، وهكذا كافأ الملك الشابين الوفيين مكافأة حسنة .

البنغالية

واللغة البنغالية على ما يرى كثير من علماء اللغات البارزين ، منحدره من اللغة الشرقية المعروفة قديما باسم : "براكريت" وشأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى العديدة في تلك المنطقة مثل الآسامية والأورية و "مايتيلي" وما إلى ذلك . وإن "براكريت" لفرع هندي لسلالة اللغات الهندية الأورية وكانت تستوعب ، إلى حد بالغ العناصر غير الآرية سواء في الكلمات والنظريات والتخييلات والمعاني ، وأقدم الأمثلة لهذه اللغة الممتازة وآدابها الأشعار المعروفة باسم : "تشاريا" التي اكتشفها العالم اللغوي الهندي الشهيد "مها مهو بادها هاربرساد شاستري" في المكتبة الحكومية بمملكة "نيبال" ونشرت في عام ١٩١٦ للميلاد ، ويرى البعض أن تاريخها يرجع إلى ما بين عامي ألف أو ألف ومائتين للميلاد ، بينما يقول البعض إن عهدها يرجع إلى القرن الثامن الميلادي . ومهما كانت معركة الآراء حولها وحول تاريخ إنشائها فإن هذه الأشعار – على أدق التعبير- ليست منشورة في لغة أدبية فصحة وما هي إلا توجيهات عامية دارجة من معلمي المدرسة البوذية المعروفة باسم : "مهايانا" وتعليمات حول رياضية "يوغا" وشروطها اللازمة .

وأما الشاعر الفيلسوف "طاغور" فقد تحدث عنها بصفة خاصة خلال محاضراته الشهيرة القيمة عن دين الإنسان . وكانت بنغال مركزا بوذيا – إلى حد ما – في القرون الأولى ، ثم تحولت إلى مركز هندوكي في عهد ملوك "سن" ، من عام ألف إلى ألف ومائتين للميلاد . وفي إحدى القصائد الحماسية القديمة أي : "سانيا برانا" سطور تتحدث عن اضطهاد البراهمة للبوذيين . وتطلعهم إلى الفاتحين الأتراك كالمنفذين لهم من ضغط المنافسين البراهمة ، ويظن – بوجه عام – أن معظم الشعب المسلم في بنغال – لأجل هذه الأسباب – منحدر من أصل بوذي أكثر مما هو من أصل هندوكي . إن القصائد البنغالية القديمة المعروفة "نشندي بنغال" الشاعر الكبير "مكوندرام تشا كراورتي" الملقب "بكاوى كانكاي" في أوائل القرن السادس عشر أو ما يقاربه من العهد لتمتاز بدقة الوصف وتفصيل البيان لرجل ذلك العهد لنسائه وطرق الحياة في زمنه ، وتتجلى فيها كيفية العبادة الشائعة حينذاك للإله "تشاندي" وأخبار الأبطال والوقائع الحماسية إلى جانب أساليب الحياة وطرقها الرائجة في تلك البقاع من أدق تعبير وأسهله .

الدور الجديد :

لقد تبرع القرن السابع بشاعرين مسلمين ملهمين في الأدب البنغالي وهما : "دوات قاضي" و"سيد علاؤل" اللذان ترعرعا تحت رعاية الملوك المغول "بأرا كان" واعوانهم الكبار ، وتوفي "دولت قاضي" في عنفوان شبابه ، ولكن بعد أن ترك تراثا خالدا في الأدب البنغالي ، وأما "علاؤل" فقد عاش عمرا طويلا ، وامتازت أشعاره بوفرة العلوم العديدة والتوجيهات الواسعة النطاق ، التي تلم بمختلف مرافق الحياة الإنسانية ، وقدم كلاهما تحفا أدبيا ذات أهمية كبرى للمكتبة البنغالية . سيما أشعارهما التي تنطوي على حب خالص ، وشحن ذهني إنساني مطلق بعيد عن الشوائب الطائفية أو الدينية أو العنصرية ، وكانت دعوتهما إلى الذهن الأدبي للأدب المحض والحب للنقي العام واليقظة الطاهرة لضمير الإنسان . واستخدما الآلهة والأديان المتعددة لنشر الفكرة الإنسانية المطلقة والنهضة الروحية الخالصة تتطلب النجاة السرمدية. أتى في بداية القرن الثامن عشر الميلادي - بعد قاضي وسيد - الفنان القدير "بهارت تشندرا" واستمر نجمه بارزا نحو قرن بأكمله ، وكان عبقريا فذا في كتاباته ومقالاته . ولكن الدور الراهن حينذاك لم يساعد على ازدهار تيرعاته الأدبية والفنية إلى حد بالغ ، وتلاه في الميدان الأدبي "رامين وساد" الذي حاول من بداية حياته الأدبية الكتابة على منوال "بهارت تشندرا" ولكنه لم يفلح فيها كثيرا واشتهر صيته في أواسط الشعب البنغالي بفضل أناشيده الدينية في مدح "كالي" آلهة الحب بطريقة جذابة تعجب جميع طبقات البنغاليين ، وهكذا دخل الأدب البنغالي في دور جديد يمتاز عن الماضي . وبعبارة أخرى تطور هذا الأدب من الأساطير والقصص الخرافية ، والملاحم والحماسية إلى دور الحب الطبيعي ووصف البدائع في الكون .

الأدب النثري في البنغالية

يرجع الفضل الأكبر في النهوض بالنثر في البنغالية إلى مجيئ كلية "فورت وليام" إلى ميدان العمل في بداية ذلك القرن وكانت الكلية تهدف إلى إسداء التسهيلات اللازمة لتدريب المدنيين ، فوضع بعض رجال التعليم حينذاك مثل : "وليام كارس" ، و"مرتيون جوى ودهيا لنكار" كتبا دراسية في النثر البنغالي لأجل هؤلاء المدنيين الذين كانوا يتدربون في تلك الكلية ، وأحرزت هذه المحاولات نجاحا باهرا في مختلف المواضيع . ولكن النثر البنغالي القوي المنظم قد برز إلى حيز الوجود بفضل

قلم المصلح الكبير والكاتب القدير "راجارام موهن روي" بطريق منثوراته التي نشرها يدعو إلى الإصلاح الديني والاجتماعي والأخلاقي . وكان "راجارام موهن روي" متقدما عن زمنه ولم يقدر عامة الناس قيمة المبادئ التي دعا إليها ورفضوا الاستماع إليه ولكن نبذة من فطاحل العقلاء في القرن التاسع عشر تنبهوا إلى قيمة مبادئه وأهدافه ، واهتدوا بهديه ، وساروا على منواله في دعواتهم وتعاليمهم الإصلاحية ، وأسسوا بنيان تقدم بلادهم في النهج الذي سار فيه "راجارام موهن روي". وكان هذا التطور نقطة تحول في تاريخ النهضة البنغالية ، وفي تاريخ العهد الإنجليزي بالهند في القرن العشرين .

وأما النثر البنغالي فقد أحرز تقدما ملموسا في القرن التاسع عشر ، ودخل إلى حقل الجودة والمتانة والتنوع لفظا ومعنى ، ونشأت هناك في ذلك العصر مدرسة رام موهنية ، التي عرفت باسم "تنوابودهنى" .

الأدب الحديث

ونشأ في ذلك العصر شاب نشيط يقف في مقدمة صفوف شباب البنغال الكتاب المهرة وهو "ميشيل ماد هو سودن دت" الذي اشتهر بكتاباتة في اللغة الإنجليزية ، وتبحر في عدة لغات أوربية قديمها وحديثها ، ويعد "دت" من مؤسسي الأدب البنغالي الحديث ، ومن أوائل الشعراء البنغاليين المحدثين ، وكان بمثابة جسر بين الثقافتين الأوربية والشرقية ، بعد أن كانت هناك فجوة تبعد بينهما ، وأصبحت الآداب الأوربية شائعة ومعروفة بين كتابنا وقرائنا بفضل عبقريته ومساعيه الجميلة في التقريب بين الآداب المختلفة في العالم .

وبعد أن أحرز الأدب البنغالي نجاحا كبيرا واسع الأفق بفضل "دت" أتى كاتب بنغالي ملهم آخر ألا وهو : "بنكيم تشندرا تستندوباهايا" وكتب رواية إنجليزية باسم "راج موهين" ، وأنتج كذلك عدة روايات عالمية القدر وذائعة الصيت في الأدب البنغالي ، ولم يمض وقت طويل حتى برز رائدا للنثر البنغالي الحديث ، وحاز مقاليد الكتابة في عصره .

نتيجة لهذا التحول الجديد جاءت مسارح قومية في شتى أنحاء البلاد تعرض فيه مسرحيات وتمثيلات تدور حول القومية المتزايدة والاحترام البالغ للمبادئ الدينية والأسطورية القائمة في أذهان الشعب الهندي . ووضع "بنكيم تشندرا" عددا من الروايات المليئة بالأفكار القومية والحقائق التاريخية الثابتة . وكلها أو جلها يهدف إلى بذر بذور حب الوطن ، والشعور القومي في أذهان الناس، ودعوتهم إلى التضحية ولتفاني في سبيل الوطن والأمة . وقد ذاع صيته كوطني كبير ورائد للقومية الهندوسية . ولا يسعنا إلا أن نصرح ببعض الفشل الذي منى به في الروايات التي كتبها في أواخر حياته ، مع كونها ذات قيمة كبرى في شتى النواحي ، منها عدم الاعتناء بمواجهة القضايا الوطنية القائمة في البلاد في أيامه ، ولكن بالتأمل في ثنايا أفكاره نرى أنه لم يتسبب مطلقا في الحط من شيء من حبه العميق للوطن وشدة قلقه على الهوة التي سقطت فيها بلاده في شتى مرافق الحياة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وكان في الحقيقة مصدر قوة لكتاب عصره والذي بعده .

طاغور والأدب البنغالي

كان طاغور ينحدر من عائلة عريقة في الوقار الذاتي ، وبعيدة عن المباهاة والتظاهر ، مع أن الشاعر الكبير "بهاري لال" قد ترك نفوذا بالغا في تكوين شخصية طاغور ، وتشكيل عقليته ، ونما

رابندارات طاغور كشاعر طبيعي يملك مواهب شعرية فطرية حرة من شوائب التقليد ، وأدران الخرافات البالية . وبرز شاعرا ينتمي إلى مدرسة "الفن للفن" مع مهارة تامة وعبقورية كاملة في فنه، وبدأ يضع عددا فيما من الأناشيد الرائعة الجذابة ، والمسرحيات ، والقصص القصيرة والمقالات الجيدة منذ سن العشرين من عمره ، وبعد مدة قصيرة من حياته الأدبية شعر بضرورة ملحة للخوض في خضم الحقيقة ، ونشدان الحق ، وسير الأسرار الكامنة في طيات الطبيعة بقلب حازم ثابت ، وعقل متدبر وقاد ، ونتيجة لنشدان الحق ، وهروبه وراء الطبيعة ، طبقا للمعرفة والحقيقة الكلية ، وحبه العميق لجمال الخلق ، نشأ فيه الحنين والتلهف إلى معرفة الإله ، وبعبارة أخرى نحو العرفان ، والحقيقة ، والخير العام ، وإدراكه الواسع العميق لحقائق الحياة لم يدعه يعترف بالفوارق القومية ، والوطنية ، مع كونه ينحدر من عائلة هندوسية وطنية تتمسك بالتقاليد القومية ، وأدرك بثاقب فكره أن بلاده لا بد أن تتبع حياة جديدة بعيدة عن التقليد الأعمى لمظاهر الحياة الأوربية ، وعن الخزعبلات التي علقت بمعتقدات عامة الناس ، وأثرت في طرق حياتهم .

وفي عام ١٩٠٠ أتم رابندارات أربعين عاما من عمره الحافل بالأعمال القيمة ، وحاز حينذاك رتبة عظيم ونال صيتا بعيدا وراء حدود ولايته أكثر مما ناله من أهله وقومه . وكان القرن العشرون نقطة تحول هامة في الأدب البنغالي بظهور مجموعة شعرية معروفة لطاغور "ناي وديا" مشتملة على مائة قصيدة من الشعر القيم ، ومعظمها حول وعي الشاعر لأسرار الكون وخالفه وقداسة الحياة اليومية وواجب كل إنسان نحو وطنه وأمته . وكانت هذه المجموعة كتابا قيما قويا لطاغور ، ويعد في مقدمة المواهب التي منحها لشعبه والإنسانية جمعاء .

قاضي نذر الإسلام

دخل الأديب الكبير والشاعر الثوري البنغالي قاضي نذر الإسلام ، إلى ميدان الأدب بكلكتا في عام ١٩١٩ م ، وبدأ أعماله الأدبية وهو لم يتجاوز من العشرين بالقصص القصيرة الخيالية ، وكانت قصصه القصيرة بمثابة مصدر هام لمطامح الشباب الذين يفورون فتوة وطموحا ، وأصبحت محلا لاستمالة القراء كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، عامة الناس وخاصتهم . وانتهل نذر الإسلام من الحركات الفكرية والسياسية السائدة في عصره ومن حركة الخلافة الشهيرة والمؤتمر الوطني الثائر.

ووضع نذر الإسلام أشعار البطولة والحماسة والأغاني الشعبية فنالت ذيوعا واسعا وقبولا حسنا لدى الجمهور ، وبعد عامين من تلك الفترة كتب قصيدته المعروفة "ودروهي" أي الثائر وأكسبته هذه القصيدة شهرة واسعة لا في البنغال فقط بل في طول الهند وعرضها ، وزجت به مقالاته الثورية في السجن حيث صام حوالي أربعين يوما احتجاجا على تعسف الحكام وسطوتهم .

ومنذ ذلك الحين صار في مقدمة المكافحين لأجل الحرية ، وكانت أسلحته الرئيسية فيها أشعاره النارية وأغانيه الثورية التي هي حرب شعواء لا هوادة فيها على الظلم و الاضطهاد وجميع أنواع الاستغلال والاستعمار . وعد شاعرا للشعب – لا للبلاد – وفي الوقت ذاته ألف أشعارا غرامية وغزلية ، وكذلك عدة أناشيد دينية وروايات ومسرحيات وتمثيلات قيمة ، مع أنه اشتهر – فوق كل الاعتبار – بأشعاره وأغانيه ولم ينج نذر الإسلام أيضا من أسنة النقاد والحساد ، ولكن شجاعته كانت منقطعة النظير وعقيدته راسخة في إمكانية شحذ مواهب الرجال والنساء والاستفادة منها إلى حد كبير في سبيل تقدم المجتمع والوطن .

ويندر أن نجد لأشعاره مثيلا إلا نادرا عند أقرانه ومعاصريه ، وتشع منها الديمقراطية والشعبية الخالصتان ، وأدرك الشعب تماما حميته وغيرته نحو الشعب والوطن .

وبعد نذر الإسلام ، وقف في ميدان السبق الشاعر الريفي "جسيم الدين" وأسدى خدمات جسيمة في سبيل النهوض بالأدب الشعبية سيما الشعر الشعبي وأنجبت بنغال قبل العهد البريطاني أيضا أساطين من الكتاب في الأدب البنغالي مثل : "دولت قاضي" و "علاؤل" في القرن السابع عشر للميلاد . كما أن الأمراء المسلمين وأعيانهم كان لهم فضل في إثراء الأدب البنغالي ، ولكن مع اضمحلال نفوذهم في الحكم في السنين الأخيرة اضمحلت تبرعاتهم لمكتبة الأدب البنغالي الحديث ، وبسبب التمرد الواقع في عام ١٨٥٧ م ، وابتعاد جمهور المسلمين – بإيعاز من بعض علمائهم – عن التعليم الإنجليزي ، وصارت الطائفة المسلمة في البلاد في موقف الأعداء الألداء للحكم البريطاني ، وتسرب الوهن والخمول والاضطهاد إليها من كل صوب ، ولم ينقذ الموقف من الانهيار إلا بعض المصلحين المفكرين مثل :سيد أحمد خان ، ونواب عبد اللطيف خان بهادر (بنغال) ، الذين دعوا بضرورة التعليم الحديث خصوصا الإنجليزية لمسلمي الهند ، نظرا للظروف القائمة فيها ،

ودبت موجة من الإصلاحات في معظم أنحاء البلاد ولعبت بنغال في هذا السبيل دورا هاما جديرا بالذكر ، ومن الذين قاموا بدور قوي في ذلك العصر إمداد الحق ولطف الرحمن وبيجوم رقية شهيرة بالمسز آر . أس . حسين ، وهؤلاء لم يعرفوا بالأعمال الأدبية الخصبية ، بل بنوعية المواضيع التي كانوا يعالجونها في كتاباتهم ، فكانوا كتابا للإنسانية أولا وقبل كل شيء . وفي هذه الأوقات أنشئت في "داكا" بالبنغال الشرقية هيئة أدبية خاصة باسم : "مسلم ساهتيا سماج" . وكان شعارها "التحرير الفكري" واستلهمت أهدافها من زعماء الإصلاح البارزين حينذاك مثل : "كمال أتاتورك" في تركيا و"رام موهن روي" و "رابندرانات طاغور" و "برامانا تشودري" وغيرهم . وساهم في برامجهم أساتذة جامعة داكا وطلابها المولعون بالأدب والأدباء . وضمت تلك الهيئة نبذة من فطاحل الكتاب البنغاليين .

دور النساء في الأدب البنغالي الحديث

لعبت السيدات أيضا دورا هاما في سبيل التبرع لمكتبة الأدب البنغالي الحديث . ومن الأسماء الجديرة بالذكر منهم : "سورنا كما ري ديوي" و "جريندرا موهني داس" و "مان كماري ديوي" و "كاميني ديوي" و "بريام وادا رديوي" و "بيجوم رقية" و "بيروبا ماديوي" و "باني ديوي" و "أشابورنا ديوي" و "رادها راي" و "محموده خاتون صديقه" و "بيجوم شمس النهار: و "ليلي مزومدار" و "بروديو ابوس" و "بيجوم صوفيا كمال" و "سنتاديوي" .

أدب الأطفال

ربما يعد من ميزات الأدب البنغالي أدب الأطفال الناهض إلى جانب الأدب الشعبي البارز . وأصبحت الملاحم الهندية الكبرى القديمة مثل "رامايانا" و "مهابهارت" بمثابة الآداب الفنية بدروس جذابة للأطفال ، إلى جانب كونها في مقدمة الآداب الشعبية في البنغالية بوجه عام ، وأحرزت أشعار الأطفال الشهيرة لرابندرانات طاغور" زعيم حركة إصلاح الشباب و "دكستار رانجان مترا مجموعمدار" و "أبندرا كشور روي" و "جو جيندرانات بوس" و "سكمار روي" .

وَعرفنا مما ذكر أن الأدب البنغالي غني بالأشعار والقصص الخيالية ، ولكنه لم يحرز تقدماً هائلاً في ميدان الروايات والمسرحيات الحديثة . وابتدأ تحول ميمون في هذا الأدب في أواخر القرن الماضي إذ وضع "دينا بندومترا" روايته الشهيرة "نيل دارابان" ولكن "التمثيلات الشجية" تغلبت عليها وسدت طريق تقدمها ، وكان "جريش جنديراكهوش" و "ريجندير لال روني" من زعماء مكتبة التمثيلات الشجية في اللغة البنغالية في العصر الحديث . وأما روايات "رابندرانات" فتشكل مدرسة تقوم بذاتها ومعظمها درر أدبية ثمينة .

الكجراتية

هي لغة منطقة "كجرات" الواقعة في سواحل الهند الغربية . ويبلغ عدد سكانها أكثر من خمسة عشر مليون نسمة . واللغة "الكجراتية" منحدره من أصل سنسكريتي. وأصبحت لغة قائمة بذاتها منذ القرن الثاني للميلاد . ولكن بدأت تعرف بهذا الاسم الجديد الخاص منذ القرن السابع عشر . أي بعد أن أصبحت المنطقة مقاطعة خاصة ذات حدود سياسية تعرف باسم كجرات، وبرزت أول جماعة من الشعراء الكجراتيين إلى عالم الشهرة في أوائل القرن الرابع عشر . وفي مقدمة تلك الطليعة "نراسمها مهتا" و "ميراباي" وكان من أشهر الشعراء الذين أضافوا ذخائر أدبية شعرية قيمة إلى المكتبة الكجراتية . وخلال فترة عامي ألف وأربعمائة وأربعة عشر وألف وثمانمائة واثنين وخمسين للميلاد حدثت نهضة عامة في الشعر الكجراتي .

ولكن الشعر الكجراتي استمر خلال هذه الفترة الطويلة التي دامت أربعة قرون متتالية خاليا من تناول حقائق العالم والحياة الأبدية . وقد انحصر معظم القصائد الغرامية الموضوعه في تلك الأحقاب على تقديس الحب الخالص وتشريحه والتثقيب عنه بين "رادها" و "كرشنا" ومعنى هذا أن الشعر كان يتمشى طوال تلك الفترة طبقا للنزوات التقليدية القديمة ، مع أن هذه النزوات قد نضب ماءها منذ نهاية القرن الثامن عشر .

والحياة في كجرات واجهت نوعا من الخمول والجمود في أواخر القرن المذكور نتيجة لوفاه سلطان "سورت" في عام ألف وسبعمائة وتسع وتسعين ولفتح أول مدرسة تبشيرية في "سرام بورا" في نفس العام . ومنذ ذلك الحين طرأ تغير شامل في النظام القديم . وحل محله نظام حديث متطور في جميع مرافق الحياة .

أثر الثقافة الغربية

منذ أن وطئت أقدام الإنجليز القارة الهندية واستقر حكمهم فيها ، جرى تيار المدنية الغربية في شرايين البلاد وددت الاختراعات العلمية الحديثة المسافات الشاسعة ووسعت آفاق الفكر الإنساني .

ووضع بهذا التحول المفاجئ حد التوترات السياسية الداخلية . وبدأ شباب كجرات يعضون بالنواجذ على أنواع من النشاط للإصلاح الاجتماعي ولمحاربة الجهل و الخرافات والخزعبلات وعادة زواج الأطفال والبون الشاسع في سن الزواج . وأما الأدب الذي نشأ في هذا الدور المعروف عندهم باسم "دور نرماو" فيما بين عامي ١٨٢٣ - ١٨٨٦ م فكان أدبا نموذجيا يمثل - لأول مرة - المواضيع التي تتناول مختلف النواحي لمرافق الحياة للشعب الكجراتي . إذ نشأت في ذلك الدور الأشعار الشخصية والتمثيلات التاريخية والمسرحيات الاجتماعية والرسائل وتواريخ الحياة والسير والنقد الأدبي وما إلى ذلك .

وهذا الدور لا يعتبر دورا هاما في تاريخ التركيب والمزج - إذا صح هذا التعبير - بين الثقافتين الغربية والشرقية . ولم يعد ذلك التركيب تركيبا فنيا محضا بل كان أساسه الأصلي هو الثقافة الشرقية وقد أخذت العناصر الضرورية من الثقافة الغربية . ثم جمع بينهما بحيث يتميز كل منهما عن الآخر - هذا هو عصر المفكرين الانعكاسيين . وصفاتهم المميزة هي الاتزان الرصين والاهتمام بخطورة الموقف واستقراء الأمور الحقيقية ، والسبب المعقول - لا التقليد الأعمى ولا الاعتقاد المتوارث . هو الذي ينبغي أن يكون في القضايا الأساسية التي كان يواجهها عصرهم . ويقلبون الأمور ويحللون بطريقتهم لا تجرح شعور الأرستقراطيين ولا تقاوم مطامح الجيل الجديد وأمانيتهم . ومن ميزات هذا الدور أيضا ظهور القصص القصيرة في النثر والقصائد الغزلية والمرئيات والروايات العديدة . ومن نتائج هذا الدور الرواية المشهورة "سرا سوادي جندرا" في أربعة أجزاء . وهي تعتبر من أكبر الأعمال الأدبية .

عصر غاندي والأدب الكجراتي

كان عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر نقطة تحولي في الأدب الكجراتي وقد صادفت ذلك العام عودة المهاتما غاندي من أفريقيا وتطورات هامة في القارة الهندية . ودبت حياة عاطفية انفعالية في كجرات ، بل وفي سائر أنحاء البلاد نتيجة للحوادث العالمية الخطيرة مثل حركة الحكم الذاتي التي قام بها المهاتما غاندي في الهند ، ونشوب الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية . وجاش صدر كجرات بروح الحكم الذاتي والحرية العامة – لا الحرية السياسية فقط بل الحريات الدينية والاقتصادية والاجتماعي والفكرية والأدبية أيضا – وهكذا بدأت كجرات تخفق بحياة جديدة في مختلف الميادين . أما بالنسبة إلى الميدان الأدبي فقد رأى ذلك العصر تبديلا كاملا في الاحتفالات بالمواليد والوفيات لرجال الأدب البارزين وفي المعارض الفنية والمناقشات الأدبية والاجتماعات الخاصة المنعقدة للاستماع إلى القصص والأغاني الشعبية كما شاهد بداية دور الأدب الغرامي . وكان الكاتب في "عصر غاندي" ينظر إلى الحياة من شتى زواياها وخبياها . وكانت الحالة الاقتصادية غير المتوازنة تثير الهمم وتشد العزائم . ولا غرو في ذلك لأنه قد استلهم مواضيع كتابته واستوحاها من دعوة المهاتما غاندي إلى خدمة الطبقات السفلى والعمل لرفي الأقاليم والقرى وانتعاشها والسعي للقضاء على المنبوذية وبث روح المساواة والتعاون بين طبقات الشعب . ومن الآثار التي تركتها هذه "الدعوة الغاندية" على الكتاب والأدباء والشعراء عدم تركيزهم على الأغنياء فقط ، بل حولوا أفكارهم وأقلامهم نحو معالجة شؤون الطبقة الفقيرة وغير المتعلمة التي تقطن في مئات القرى الهندية . ومن الناحية العلمية فإن الأدب النثري الكجراتي بدأ يتبع طرازا جديدا في اختيار المواضيع وأساليبها فأصبحت الروايات تلتزم زاوية جديدة موضوعا وأسلوبا ، بينما أخذ فن القصص القصيرة شكلا خاصا يمتاز عن غيره من الأشكال الأدبية .

عصر الاستقلال

إن اليوم الخامس عشر من شهر أغسطس عام ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين ، أي يوم الاستقلال قد فتح بابا جديدا جليلا في تاريخ الهند المديد والفرق بين الأدب الكجراتي قبل الاستقلال وما بعده ليس بشاسع . حيث يسوغ لنا القول بأن الأدب بعد الاستقلال أدب حديث ، بينما ما قبله يوصف بالقديم . فالشعراء ، والروائيون ، وكتاب المسرحيات ، والقصص القصيرة والتمثيلات قبل ١٩٤٧م ما زالوا يواصلون نشاطهم ، ويقبضون على زمام القيادة في هذا المضمار ، وكان الشاعر الكجراتي متشعبا بروح الحرية والوطنية بل وكانت هذه الروح نصب عينيه سواء كانت في أغانيه وقصائده ومنظوماته القصصية والمسرحية بحيث لا يخلو شعره - بطريقة أو بأخرى - من تأثير هذه الروح وما كان يختار من التواريخ والأساطير إلا الحوادث والنظريات التي تنعكس فيها هذه الروح التي أخذت بمجامع قلبه ، وكان دوره واضحا جليا في هذا المضمار . واتجاهات الجميع كانت منصرمة إلى هدف واحد ، ألا وهو تحرير البلاد من الحكم الأجنبي وإنقاذ الأمة من آثار الفقر والجهل والمرض ، ولو أن الاستقلال قد أنزل عن عاتقه مهمة النضال في سبيل الحرية إلا أنه ما زال يحمل على عاتقه مسؤولية السعي في سبيل إنجاح المشاريع العمرانية والبرامج التقدمية التي تجري في طول البلاد وعرضها لبناء وطن سعيد ذي رفاهية وطمأنينة كاملتين .

الشعر والموسيقي

أتى على الأدب الكجراتي دهر فيما قبل حوالي خمسة وعشرين عاما لم يكن فيه انسجام بين الشعر والموسيقي ، حتى لم يكن بعض الجهات الأدبية تعتبر الموسيقي من عوامل الحيوية للشعر . ولكن من بواعث الغبطة والسرور أن معظم الشعراء قد تحرروا من هذا التوهم والتخيل الطارئين قبل أن يفلت زمام الفرص السانحة ، وواصلوا وضع الأغاني المليئة بالجمال ورقة الأسوب ، إلى جانب أشعارهم الكلاسيكية على بحور سنسكريتية قديمة . وشعراء كجرات اليوم حققوا نجاحا باهرا في ميدان الأغاني الوطنية والشعبية وهم الآن يميلون إلى الموسيقي والأغاني في أشعارهم أكثر من البحور والأوزان السنسكريتية القديمة .

ويبدو أن الشاعر اللكجراتي قد ترك – في الوقت الحاضر وإن لم يكن إلى الأبد – الأشعار الحماسية وقصائد البطولة والملاحم . وأما المحافظة على الطراز القديم من الشعر فما زالت حية في مدرسة "أوماشنكر جوش" و "سندرام" و "سندرجيبتهاتي" . وإن "أوماشنكر" الذي هو أشهر الشعراء في الجيل الحاضر قد تبرع في السنين الأخيرة بديوانه الخامس المعروف : "وسنتا ورشا" ونجد فيه مجموعات من القصائد التي تصف جمال الطبيعة وطرق حياتها بطريقة جذابة حيث تبهر العقول. وأما ديوان "راترا" لسندرام الذي صدر قبل بضع سنين فسجل حافل لحذاقته في المملكة الروحية . ولم يعد "سندرام" شاعرا أرضيا . بل كان يطير في أفق العالم الروحي . بينما كان "أوماشنكر" ينفذ إلى مظاهر جمال الأرض . ولم ينزل "سندرام" من أفق الفلسفة والجمال العلوى إلى الجمال السفلى . ولكن طلب الحق كان هدفهما مع أن الواحد يناشده ويريد تحقيقه في شكل الجمال الطبيعي ، وآخر يريد الوصول إلى هذا الهدف المنشود بواسطة "يوغا" .

الندوات الشعرية

ما زالت الندوات الشعرية ومحافل الأغاني ومجالس الخطب تحتفظ بشهرتها السابقة في شتى أنحاء كجرات . ومن الطريف أن المجالس التي تلقي فيها الأشعار المكتوبة في بحور كلاسيكية وأوزان سنسكريتية تعرف "بكوى سميلين" بينما تعرف المجالس الشعرية التي تلقي فيها الأشعار المكتوبة بوزن غزل "الأردية" "بمشاعرة" وهذا النوع من الندوات الشعرية – بدون شك – يساعد على بث الروح الشعرية بين عامة الناس وخاصتهم على حد سواء . ولكن لسنا بمتأكدين هل الشعر الذي ينال قبولا حسنا وتصفيقا حماسيا من الحاضرين في "كوى سميلين" أو "المشاعرة" أحسن أسلوبا وأروع معنى وأوفر جمالا فنيا ، من الذي يلقي في جو هادئ خال من التصفيقات وهتافات الترحيب أو يدون في كتاب أو ينشر على صفحات المجلات والصحف بدون ضجة وضوضاء قرب مجمع تراه يرحب بشاعر بمجرد النظر إلى طريقة إلقائه وكيفية بيانه أو الاستماع إلى صوته الموسيقي أو إلى الألفاظ الخلابة التي يستخدمها ، ليس إلا ، وهذا دليل ساطع على أن الترحيب الذي يناله شاعر

أو التصفيق الذي يلاقيه في الندوات الشعبية أو الاحتفالات العامة لا ينبغي أن يكون معياراً لتفضيل شعر على آخر .

الروايات والتمثيلات والقصص القصيرة

اشتهر الأدب الكجراتي بالروايات التاريخية والشعبية والثقافية وأثبتت الروايات الكجراتية الحقيقة القائلة : "إن الجدارة والشهرة لا تجتمعان بالضرورة دائماً " ومن أشهر الروائيين في الجيل الماضي "رامن لال ديسائي" و "منش" و "جهاور جند" و "جنواند راي" و "جنبلال شاه" . وقد اشتهر من الجيل الجديد "بنالال بتيل" و "بتمباربتيل" وغيرهما . وكل منهم قد تبرع بروايات قيمة مفيدة تلم بشرابيين الحياة الشعبية . ولكنها ما زالت في معزل عن المستوى العالمي . ولا نجد منها إلا قليلاً قد وصل إلى الصيت البعيد .

وأما الروائي المعروف "بنالال" فقد نزل إلى أعماق الحياة الريفية وعجم عودها . وعرف الحب والكراهية والضيق والسعة والشح والكرم والحماس والخمود والجهل والإدراك والاستقامة والاعوجاج والمداهنة والإخلاص من تجارب الحياة الشعبية . وقد تجلت مظاهر هذا وذاك في رواياته الطريفة ومن رواياته الخالدة التي تنفث الحياة السرمدية في الأدب الكجراتي "ملا لاجيو" و"مانوينى بهواي" ولكنه كان كلما وثب إلى الحياة في المدن اعتبر غريباً عنها بعيداً عن تياراتها المألوفة . ومن أشهر الروائيين في الميدان الثقافي "دار شاك" وهو مفكر متبصر ، وقصاص ماهر ، يحتفظ بفلسفة حياة خاصة ، يحاول الدعوة إليها بواسطة الروايات . ولأجل هذه الفلسفة الخاصة نالت رواياته قبولاً مرموقاً واستقبالاً حاراً في بعض الأوساط العلمية . وأما الاتجاه نحو تمجيد الماضي وتبجيله فمن مميزات الروائيين التاريخيين إلى يومنا هذا . وكان الروائيون والكتاب الآخرون ينتفعون بالماضي وأحداثه الخالدة أيام حكم الإنجليز في الهند لإثارة الشعب ضد العبودية وتشجيع الوطنيين في ميدان الكفاح لأجل الحرية والحكم الذاتي فكانوا يقتبسون من النقط البيضاء والأحداث

الجسام فيتصورونها في قالب تمثيلي جذاب ليتذكر الشعب ماضيه المجيد وتشحنهم نحو التخلص من الذلة السياسية التي وقعوا فيها .

وأما الأدب الكجراتي فلم يخل من القصص الواقعية أيضا إلى جانب القصص القصيرة الخيالية . وهو في سبيل توفير هذه الواقعية يصل بالروايات والتمثيلات إلى درجة الحوادث الواقعية ونجد جماعة من الروائيين وكتاب القصص يحاولون تصوير النواحي الجميلة والشريفة من طبيعة الإنسان بدون الالتجاء إلى التهريجات الخيالية البعيدة عن الصور الحقيقية . على أن النظرية الرئيسية التي تشغل أفكار الكتاب الكجراتيين بوجه عام ، هي الفساد الاجتماعي والفقر والجهالة والضغائن وانحلال الأخلاق . وأما القصص التي تدور حول الرحلات والنزهات والصيد وتسلق الجبال والنظريات البعيدة عن الحقائق العالمية فليست إلا شذرات تذر هنا وهناك . ومن الأحداث التي شحذت قرائح الكتاب الكجراتيين وأنهضت مواهبهم وأيقظت مضاجعهم حركة ١٩٤٢ العظيمة . والقحط المخيف في بنغال واستقلال البلاد وتقسيمها ، والحوادث المؤلمة التي تبعتها ، ومشروع الهند للسنوات الخمس ، والمحاولات الوطنية لرفع مستوى المعيشة للشعب والدور الذي لعبته الهند في الشؤون العالمية والقضايا الدولية .

وتنقص الأدب الكجراتي الآن تمثيلات من الدرجة الأولى مكتوبة في اللغة الكجراتية نفسها أصلا . وأما المترجمة من اللغات الأخرى أو المقتبسة منها فلا تعتبر من الأعمال القيمة في الأدب ، ومن أشهر التمثيلات المكتوبة في الكجراتية "راي نوباروات" المطبوعة عام ١٩١٤ م . ونرى في الأدب "الكجراتي" تمثيلات مكتوبة في النظم إلى جانب التمثيلات النثرية ، ولكن الجزء الفني من الأدب التمثيلي في "الكجراتية" هو تمثيلات ذات شخصية واحدة ، وهذا النوع من التمثيلات أحرز قبولا حسنا منذ أيام "بادوبهائي أمرواديا" ومنها تمثيلية "سابنا بهارا" "لاوماشكر جوش" . ويتناول "جيانتي لال" في كتاباته السفاسف السياسية والاجتماعية المنتشرة في العصر الحاضر ، بينما يقود "كنلال ماديا" قارئيه - بمهارته اللغوية ورقته في الأسلوب ، أحيانا إلى أحلام الخيال ، وأخرى إلى عالم الحقيقة المرة . وأن الانفعال النفسي والحنان من لوازم التمثيلات ذات الدور الواحد في الأدب الكجراتي بصفة عامة .

السير وتواريخ الحياة

ومن المواضيع التي نشأت في الأدب الكجراتي بعد الاستقلال كتابة : "السير الذاتية" وكتب معظم الكتاب البارزين الكجراتيين تواريخ حياتهم بأقلامهم ، وكل منها غنى بوفرة المواد وأساليب التقديم وفي مقدمة كتاب "السير الذاتية " البارزة "نانا بهائي بهت" و "اندلال ياجنك" و "بربهوداس غاندي" وأما السير الذاتية لنانابهائي "جنراني جرترا " لقطعة أدبية قيمة يضرب بها المثل في البساطة والسهولة وروعة المعاني – بينما السير الذاتية لابدللال ياجنك تعطي – وإن لم تكن في أسلوب أدبي جديد – صورة حية لكجرات خلال الأعوام المتراوحة فيما بين ١٨٩٢ إلى ١٩٢١ م . وكانت كتابات "اندلال" الذي ساهم بنفسه في معظم أنواع النشاط الذي جرى في كجرات في تلك الفترة ، حجة ساطعة عنها . وكما أن كتابات ترسل الأضواء إلى خبايا الحوادث السياسية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية التي واجهتها البلاد خلال تلك الفترة العويصة . ويقارن بعض المشتغلين بالأدب سيرته الذاتية بالتي لغاندي المعروفة : "تجاري مع الحق " ولكن البعض الآخر يرجح – من هذه الثلاث – ما "لبربهوداس غاندي" : "جوان" – من – بارود ، لأنها تعطينا فكرة عامة مفصلة من مولد المؤلف الذي كان يعاصر تلك الأيام التي كان المهاتما غاندي يقضي فيها معظم أوقاته في صومعته – منغمسا في تجاربه مع الحق ومع عدم العنف . وكما أنها تعطينا فكرة عامة عن الظروف التي ينمو فيها ذهن طفل بريء ، والبيئات التي يتغذى منها عقله النامي ، وكل هذا وذاك في أسلوب قوي جذاب ، وفهم حسن لطبيعة الحياة والعقلية الإنسانية .

الصحافة والرسائل

وربما يكون الجزء الضعيف في الأدب الكجراتي والذي تغاضي عنه الكتاب بصفة عامة ، هو الرسائل الشخصية ، وأن الجيل الحاضر – مع الأسف – لم يخلق بعد عددا يذكر من كتاب الرسائل الشخصية الموضوعية في اللغة الكجراتية . وفي الحقيقة هناك عدد من الرسائل الخيالية القديمة ، ولكنها لا تعالج الأمور من النواحي الواقعية الإنشائية . ومن هذا القبيل رسائل "نوانيد" و "بكول

ترى باتي" و "جيودنتراديو" وغيرهم . وأما الصحافة – بالعكس – فقد أسدت خدمات جلية وتبرعت تبرعا باهظا لصندوق الأدب الكجراتي . ومعظم الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية أو الشهرية تخصص صفحات خاصة للأدب والبحوث العلمية وعرض الكتب – وهذه الخطوة ساعدت على إيجاد رغبة الاطلاع والقراءة لدى القارئ والمشاركين والكتاب ، ومن أحسن المجلات الحالية التي تهتم بالشؤون الثقافية اهتماما بالغا مجلة : "سنسكرتي" والتي تهتم بالأدب بوجه خاص مجلة : "كمار" ، وكذلك من المجلات الجديرة بالذكر صحيفة "جنما بهومي" التي ساهمت مساهمة فعالة في نشر الوعي السياسي ونشر الأشعار التقريرية . وأما انتعاش هذا النوع من الأشعار فقد بدأ بحركة "أتركوا الهند" في عام ١٩٤٢ م ، ولما وضعت الحكومة القيود العديدة على الخطابة والصحافة ، لم يكن أمام الكتاب السياسيين وسيلة لانتقاد سياسة الحكومة وموقفها إلا بالصور والكاريكاتور ، والمقالات الهزلية التلميحية والأشعار التقريرية – بدأ الكتاب الكجراتيون يستخدمون لأول مرة في الأدب الكجراتي الأسلوب التشبيهي القديم المعروف باسم "أكهيان" . وفي مقدمة المستخدمين لهذا الأسلوب في الكتابة : "مانك" وتبعه آخرون عديدون ولا تزال الصحف الكجراتية تنشر مقالات هزلية وقصائد هجوية ومنها : "جنما بهومي" و "كجرات سماجار" و "سنديش" و "لوكاستا" .

وتحتل الروايات والقصص القصيرة مقدمة الأدبية الأجنبية التي ترجمت إلى الكجراتية ولقائل أن يقول : إنه يبدو من هذا أن التجارة هي الباعث الرئيسي الذي يكمن وراء هذه الحركة أكثر من الرغبة الأدبية الخالصة .

ومن المواضيع التي يحرز فيها الأدب الكجراتي الحديث تقدما ملموسا النقد الأدبي ، والنحو والتاريخ ، وفقه اللغة – فلا غرو في ذلك لأن الأدب الكجراتي لم يأت إلى ميدان النهضة والرقي إلا بعد الاستقلال . وما هي إلا فترة وجيزة في تاريخ لغة أو أدب .

المراتية

اللغة المراتية هي إحدى اللغات الحية الشائعة في الساحل الغربي من القارة الهندية الواقعة بساحل بحر العرب ، ويعود تاريخ الأدب " المراتي " إلى خمسمائة عام . مع أن تاريخ نشأة هذه اللغة يرجع إلى أكثر من ألف عام . والعوامل الطبيعية والاجتماعية هي التي تقتضي تطورا في الأدب ، وتحولا في التفكير . وأما العامل الرئيسي – على ما يبدو – في تطور اللغة المراتية وجعلها لغة أدبية فهو التحول الجديد الذي طرأ على أذهان الشعراء التقدميين وفي وجهات نظر المفكرين والمصلحين الاجتماعيين ، وبعبارة أخرى أن مذهباً روحياً جديداً في التفكير قد ظهر في المنطقة . وكان منشؤه الحواجز المصطنعة التي نصبها رجال الفلسفة الخرافية وأصحاب المراسيم والطقوس التقليدية البالية بين الإنسان وخالقه ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، فظهر نفر من المفكرين الذين فاضت قلوبهم بحماسة الإصلاح الاجتماعي والروحي وآمنوا بمبدأ المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية وسمو النفس البشرية .

والأساليب السنسكريتية كانت شائعة في الأدب المراتي وخصوصاً في الشعر ، لأن الشعراء المراتييين في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانوا يتسابقون في ميدان إظهار البراعة الفنية . وكان معظمهم من رجال الدين المعروفين بالهند بوجه عام باسم "بانديت" ونخص بالذكر منهم "رجنات دوان" في القرن السابع عشر و "ماروبانث" في القرن الثامن عشر . ولكن الطبقة المتنورة لم تكن تستحي بأساليبهم وبالمواضيع التي يطرقونها وأما الرجل العادي فيتأثر بهم كثيراً لأنهم يقصون عليه القصص الشعرية اللذيذة ، ويتخذون أساطير الكتب المقدسة الهندوكية ، مثل : "راماين" و "جيتا" و "مهابهارت" موضوعاً لأشعارها ولأحاديث أنديتهم ، ويصورون صورة دقيقة بديعة من تلك الأساطير ، ومع هذا كله كان الشعر المنثور والأسلوب الحديث السامي يأخذان بمجاميع قلوب الجيل الجديد ، ويدخلان الهدوء والطمأنينة في النفوس القلقة المضطربة ، وأما سرعة النمو في النثر المراتي فكان بطيئاً إلى حد ما ، ومن الأسباب المؤدية إلى ذلك البطء تعقيد الكتاب بأساليبهم ، وتقييدهم له بأنواع التزمتم البالي المبني على التقليد . ولكن الجذور المتأصلة في الناس من حب الأناشيد الدينية والقصص الشعرية المعروفة باسم "شلوغاس" فأول من اهتم بالنثر في اللغة

المراتية الكاتب الشهير "بها بهواس" في القرن الثالث عشر . أما النثر الذي كان مستخدما في البلاط الملكي والدواوين الحكومية فلم يكن نثرا أدبيا بمعناه الحقيقي ، وما هو إلا أسلوب رتيب معقد مليئ بالأرقام والوقائع الحكومية ، ولكن النثر المراتي وثب وثبة سريعة ناهضة من أوائل القرن التاسع عشر ، ونال عناية من الأدباء وشغفا من الناس أكثر من الشعر نفسه – والباعث الأول لهذه الوثبة هو تأسيس المطبعة الأولى في المنطقة والتطور الهام الذي حدث في الجهاز الحكومي في سنى مرافق الحياة ، والنهضة التعليمية في طول البلاد وعرضها . فهذا التطور اكسب الأدب النثري مكانة مرموقة في المراتية .

الشعر

دخل الشعر الثوري في الأدب المراتي منذ عهد الشاعر الكبير كيشواست الذي كان ذا نفس ثائرة، ولم تكن ثورته موجهة إلى الناحية الأدبية فقط .. بل أثار الشعب وأيقظ همهم وحفزهم من خلال أشعاره إلى التفكير في الواقع المائل أمامهم .. وقد استلهم منه عدد من معاصريه من شعراء الروح الوثابة والشحن الذهني ورقة الأسلوب ، ومن شعراء عصره الذين كانوا يحتفظون بشخصياتهم المستقلة ويتشبعون بالنشوة الروحية الوهاجة "ثارين وامن" ، وكان يتحدث في أشعاره عن جمال الطبيعة وحب الوطن والروح القومية ، وكان أيضا ذا حس مرهف وقلب واع وعقل مستنير ، ويعتقد اعتقادا راسخا في مبدأ الكرامة الإنسانية وعزة النفس ، وأما الوسيلة التي كان يتخذها لتهدئة النفوس المزعجة فهي الالتجاء إلى التسامي بالنفوس الإنسانية وتغذيتها بالنشوة الروحية ، وأما "وينايك" فكان شاعرا مضطرب البال وقلقا في التفكير و خائفا يتردد بين الروحية والمادية ، ولم يحاول إيجاد انسجام بينهما ، عاصره شاعر آخر يسمى "جوبندا جراج" كان يصور من خلال أشعاره ومسرحياته الصراع الراهن بين المدرستين القديمة والحديثة ، وينظر إلى التقاليد القديمة بإشفاق بالغ ويدعو إلى التسليح بالأخلاق السامية والخصال الحميدة . وإن " جوبندا جراج" كان متبحرا في العلوم والفنون العديدة وواسع الاطلاع وعالما بأسرار اللغة ودقائقها ، ومن ميزاته استخدام الفكاهة في تعبيراته ، ويجد الناس متعة في مسرحياته ، وتسلية عن الأحزان التي تمكنت في

قلوبهم لأنهم يجدون فيها عوضاً عن شظف العيش وقلق النفوس ، مع هذا كان " جوبندا جراج " ثائراً على الأوضاع الفاسدة والعادات البالية ، ويليه على هذا المنوال في اختيار الأسلوب وروعة الخيال ووصف الجمال الشاعر المعروف باسم "بالكاوي" ثم "ب. ن. جوبتا" الذي كان من أقارب الشاعر العظيم "كيشواست" وكان جوبتا يؤيد "كيشواست" في مهاجمته التزمّت الاجتماعي والأدبي الشائع في الناس ، ولم يبلغ الستين حتى وصل إلى أوج الصيت البعيد وبعده بزغ نجم الشاعر الكبير "راما جندرا تامب" وكان يقرض الشعر بأسلوب غنائي جذاب ، وبعبارات منمقة خلابة منسقة . وهذا من العوامل الرئيسية التي ساعدت على شهرته الفائقة منذ عنفوان شبابه . ونبغ "تامب" في مجتمع إقطاعي أرستوقراطي وتجلّى أثر هذه البيئة في شعره ومع هذا كان الناس يعجبون بشعره . وكان يحاول أحياناً الهروب من واقع الحياة والتلحيق في عالم الخيال والطموح البديع بينما كان "كيشواست" يصور الواقع والحقيقة .

المسرحية

أنت المسرحية - لأول مرة - إلى حيز الوجود في الأدب المراتي في عان ١٨٤٣م ، عند ما ظهر الكاتب المسرحي الشهير "كيرلوسكار" واكتملت عناصر المسرحيات في الأدب المراتي على يديه ، وأشهر مسرحياته " سوبهادر" المسرحية المعروفة بعنصرها الموسيقي البالغ صيتها إلى شتى أنحاء البلاد . وهي إلى يومنا هذا فريدة بنوعها ومميزة بعناصرها الشيقة . وتلاها المسرحي الكبير "ديوال" الذي كان يحذو حذو "كيرلوسكار" في تأليف المسرحيات واختيار الأساليب وتصوير الحقائق بصورة جذابة غنائية حيث تبهر القلوب وتأخذ بأذهان القارئ والمتفرجين لتجول في ميدان الخيال الرائع ، فوضع سبع مسرحيات شهيرة ، ستة منها على منوال سنسكرتي ، بل ومنقولة من الأدب السنسكرتي أو الإنجليزي ، والسابعة من انطباعته الخاصة من تجارب حياته فسامها "شاروا" وتدور وقائعها حول مشكلة اجتماعية ، فقد تزوج رجل عجوز في سن الستين ببنت بكر لا يتجاوز عمرها عشرين عاماً ، وسرعان ما انتهى أجله ، فترك زوجته الشابة أرملة بدون ملجأ تلجأ إليه وتصبح عالة على المجتمع .

وفي المرحلة الأخيرة للأدب المراتي – الذي نحن بصددده الآن – ظهر المؤلف القدير "جندامان كالكر" الذي وضع خمس مسرحيات ، ثلاث منها تدور حول المواضيع التاريخية ، وآخرين متخذتان من الأساطير القديمة وكان أوفق الكتاب المسرحيين وأعدلهم على حد تعبير بعض الأدباء الناقدين فبالجملة كانت المسرحيات في هذه المرحلة من الأدب المراتي متنوعة المواضيع ومختلفة الأهداف والمقاصد ، مع أن الناحية الموسيقية كانت غالبية عليها أكثر من أي شئى آخر ، ولم تكن تميل إلى الحياة الواقعية أكثر مما تميل إلى الاعتبارات الأخرى من المحسنات الفنية والغنائية وما إلى ذلك .

النثر

ينقسم النثر في الأدب المراتي – كسائر الآداب – إلى قسمين : نثر عامي (دارج) ونثر فصيح . وكلا القسمين قد لعب دورا هاما في ميدان الإصلاح الاجتماعي وأسس الزعيم المصلح الكبير "لوك مانيا بال جنجادهرا تلاك" في أوائل القرن التاسع عشر مجلته الشهيرة "كيسرى" لسان حال القومية المتطرفة ، ورمز الحركة الوطنية التي كانت تجري تحت زعامته حينذاك في معظم بقاع البلاد الهندية ، ولم تلبث أن تصبح هذه المجلة عاملا فعالا للإصلاح السياسي ، في أسلوب نثري جذاب ، سهل المنال لعامة الشعب وخاصتهم وبدأ "جوبال جنيش آجاركار" في الوقت نفسه يصدر مجلته الإصلاحية "سدهاركا" وكانت تشن حملة شعواء ضد المعتقدات الفاسدة والخزعبلات على رغم الانتقادات المرة التي تنهال عليه وعلى مجلته ، من دعاة الخرافات والجمود ، وعلى مر الأيام نالت المجلتان شيوعا واسعا وعددا من القراء الذين يشغفون بموادهما وأساليبيهما وتحليلهما الفني لشتى المواضيع ، وامتاز "تيلك" ، وكان واسع الاطلاع مولعا بالقراءة ، بالنثر السهل في كتابته ، بأسلوب حر من قيود التقليد واجتناب غرائب الألفاظ وشوارد الكلمات في خطابه .

القصص القصيرة

لأول مرة في تاريخ الأدب المراتي أنت القصص القصيرة إلى جيز الوجود بنطاق واسع ، ومع ميزاتها وخصائصها . أما قصص أمثال "أبتي" و "كولها نكار" و "كالكار" و "جورجا" فما هي إلا شبيهة بالقصص المنسقة المنمقة أو بالروايات المقتضبة . وظهرت المجموعة الأولى للقصص القصيرة الحديثة الممتازة في الأسلوب والتحليل النفسي للقصص الشهير "ديوكار كرشنا" وتليها قصص "كهندا كار" و "فادكي" وكتب "جوش" قصصا عاطفية تدور حول الحياة الداخلية للشعب بينما شرع "بوكيل" في كتابة القصص الغزلية التي تحتوي على لمحات من حياة الشباب من الطبقة السفلى من الشعب ، ولكن قصصه انحدرت إلى درجة الروايات الفكاهية حتى انطفأ نورها على مر الأيام . ووضع القصصي المعروف "أنندكا نيكرا" أيضا بعض القصص القصيرة الجيدة في تلك الفترة . واهتم بعض الكتاب المحليين في رواياته بصفة خاصة بمنطقة "جوا" وجمال طبيعتها وطرق حياتها القديمة . وتقف القصص القصيرة لـ"جنجاد هارجا دجيل" في مقدمة القصص الحديثة في الأدب المراتي ، وتتجلى فيها دقة الشعور وخصوبة الخيال وتصوير الواقع . وأما "أروند جوكهلا" فيصور في قصصه الأزمت الفردية والعقد النفسية في قلبه الخاص . بينما يركز القصصي المعروف "بهاوا" اهتمامه البالغ بالأفراد لكي يصل منهم إلى المجتمع بصفة عامة ، ويعالج الأخلاق التقليدية والعرف المتوارث في فصولها ومن كتاب القصص الريفية "مارجو لكار" ويصور الحياة الطليقة الحرة السائدة في الأقاليم بعيدة عن تصنعات الحياة الحديثة وتكلفت العيش المعقدة وهؤلاء هم طليعة القصصيين الذين شيّدوا صرح القصص القصيرة الحديثة ف الأدب المراتي .

الرسائل الشخصية

احتلت الرسائل الشخصية مكانتها اللائقة في الأدب المراتي مع أن معظمها مقتبس من الأساليب الإنجليزية – على يد "فادكي" و "كهندا كار" في السنين الأولى لهذه الفترة . وأما الفرق البائن بينهما فيبرز في التنميق ودقة الأسلوب . كانت رسائل "فادكي" قصيرة عميقة هشيمة الأسلوب وأما "كهندا

كار" فممنقة عاطفية ركيكة الأسلوب . وكتب "أنند كانيكير" في هذه الفترة بعض الرسائل الشخصية في التعليق على طرق الحياة في مختلف الطبقات في أسلوب سهل بسيط وأما الكاتبة الشهيرة في هذا الفن " كسماوتى ديشاندا" فلم تكن نتبع نهجا موحدا في كتاباتها ، فتتغلب عليها آونة اللطافة الشعرية ، وأخرى الخفة العاطفية ورقة الخيال ، وتجلت انفعالاتها الشخصية ووجهة نظرها بوضوح في معظم مقالاتها وقصصها ...

البنجابية

هو لغة حوالي عشرين مليون نسمة من الهندوس والمسلمين والسيخ في الهند والباكستان ، وقد ورثت اللغة البنجابية بصفة كونها لغة مشتركة لثلاث طوائف رئيسية مذكورة ، ثلاثة أنواع من الحروف لكتابتها ، العربية و "ديوناجري" و "جرومكهي" فبينما يكتبها المسلمون بالحروف العربية. يكتبها الهندوس في حروف اللغة الهندية ، ديوناجري. وأما الطائفة السخية فتستخدم حروف جرومكهي لكتابتها مع أن كلا منهم يعرف الحروف التي يستخدمها الآخرون .

وبناء على هذه الميزة التي تمتاز بها البنجابية ، تغذت بالآداب التي تمخضت في اللغات الهندية الأخرى من الأردية والفارسية والسنسكريتية ، وترعرعت هذه اللغات ونمت أكثر فأكثر بفضل عدد من اللهجات . ولأجل ذلك تجلت فيها المظاهر الشعبية لمختلف طبقات الشعب وعقلياتها .

تاريخ نشأتها

وليس من السهل الهين تحديد تاريخ نشأة لغة ما ، سيما أن اللغة تتركب من عدة مصادر ، وترجع جذورها إلى سلالات مختلفة كما هو الحال في اللغة البنجابية . وإذا تتبعنا آراء العلماء اللغويين الهنود فنجد بعضهم يرجع نشأتها إلى القرن الثاني عشر ، والبعض الآخر إلى عهد تسبقه، بناء على عدم دليل واضح ووثائق تاريخية قاطعة حول ذلك . فالأصوب والأقرب إلى الطمأنينة أن نبدأ بالكتاب المعروفين الذين يتشكل الأدب البنجابي من أعمالهم الأدبية والعلمية ، ولهم نفوذ واسع في الأدباء المعاصرين . وينقسم مشاهير أدباء البنجابية إلى فئتين رئيسيتين ، أي الصوفيين المسلمين ونساک السيخ ، ونبدأ بهم من القرن الخامس عشر للميلاد ، وقد ازدهر هذان المنبعان الفياضان وأصبحا بمثابة مصدر أصلي لهذه اللغة وآدابها .

أثر الصوفية

وتوافدت الفكرة الصوفية وأصحابها إلى الهند بعد انتشار الإسلام ودعاتها في القارة شمالاً وجنوباً بطريقة سلمية ودية ، وكان معظمهم من الدعاة إلى الحق والأخوة الإنسانية ، وكان عليهم أولاً وقبل كل شيء أن يتعلموا لغات الشعب وآدابهم ، ويقفوا على طرق حياتهم ، وكلما تبحروا في لغات الشعب وعاداته وتقاليده تضحل حميتهم الدينية والتعصب الطائفي ، حتى تبدو فيهم رغبة تطوعية في قبول معتقدات وطقوس الديانات التي لا يدينون بها ، ويتسرب إلى قلوبهم التسامح الكلي نحو الجميع ، وتجلت آثار نفوذهم على الأفكار الدينية بطريقة واضحة في تلك المنطقة أكثر من أي مكان آخر في بنجاب وما جاورها . ودرس نساك السيخ سيما المرشد المؤسس لطائفة السيخ "جرونانك" التعاليم الصوفية باهتمام بالغ حتى أصبح زعيم " الحركة الروحية " المعروفة "ببهكتي" ومن رأى الصوفيين أن حقيقة العلاقة بين الإنسان وخالقه بمثابة العلاقة بين حبيب ومحبوبه الذي افترق منه بطريقة ظاهرية جسمانية مع أنهما لم يفترقا حقيقياً روحياً . ولا يمكن أن تتغلب على هذا الافتراق الظاهري إلا بالمحبة والشعور الأخوى ، وهذه كانت النظرية المتعمقة في تعاليم الصوفيين المسلمين ، ونساك السيخ .

اللغة العامية

وكان الصوفيون كلهم أو جلهم يعيشون في الأقاليم فبقي لسانهم واصطلاحاتهم شعبية ساذجة حتى يستطيع عامة الناس أن يلتقطوها بدون صعوبة ، وأنت خطبهم وأشعارهم مليئة بالنشاط اليومي للفلاحين من الحراثة والحصاد والغزل وتربية المواشي وحلب الأبقار وطرق حياتهم العائلية المشتركة والمنفردة ووداد الأخوان لإخوانهم وسائر أفراد عائلاتهم بقلب صاف نقي ساذج ، وحب الزوجات لأزواجهن ومشاركتهن في الأعمال اليومية لهم في الحقول . وضغائن الضرات في بعض البيوت وأسباب الشقاق التافهة في الريفية – وما إلى ذلك – وهذه الطبيعة قد منحت مصادر غنية لاختيار التشبيهات والأمثلة اللازمة في كتاباتهم وقصائدهم بحيث يساعد بكل سهولة للتأثير على

أسماع الطبقات المتوسطة والسفلى من الشعب . وقد استفاد معلمو الشيخ الكبار سيما "جرونانك" كثيرا من هذه العادات المألوفة لدى الفلاحين وتشبيحاتهم المحببة لتبليغ دعوته ونشر تعاليمه وعلى هذه الشاكلة ابتدأت اللغة البنجابية العامية أن تحتل مكانة مرموقة في الأدب البنجابي .

الشعر الثوري

والميدان الآخر الذي قدم فيه الصوفيون خدمات عظيمة في الأدب البنجابي نشر أوزان شعرية ذات طابع خاص . وفي مقدمتها "كافي" و "بارا - ماه" و "شيرافي" . وأما "كافي" فكان معروفا لدى الشعراء الفرس . وما زال معروفا في الشعر الأردوي و"بارا - ماه" "أو اثنا عشر شهرا" يعطي الشعراء حرية تامة لوصف جمال الفصول الأربعة للعام ، ولمتابعة أي شئ آخر يريد أن يتحدث عنه إن عددا من الوصف أو التشبيه الشهير لجمال الطبيعة في الشعر البنجابي لمدين لأوزان "بارا - ماه" . أما "هير - راتجها" و "لوراث شاه" و "آدى جرانت" لجرونانك" فمن أجمل القصائد الأدبية في اللغة البنجابية في وزن "بارا - ماه" .

عصر جرونانك

وكان "جرونانك" (١٤٦٩ - ١٥٣٩) يبشر بدعوته ويدعو الناس إلى مبادئه في الأشعار ، وقد امتازت قصائده بشرح فلسفة حياته ، وموعظة الناس لاتباع طريقة خاصة في حياتهم اليومية ، واتسعت دائرة الأدب الشعري في البنجابية منذ عهد "جرونانك" لأنه نشر فيه فكرة حرية التفكير وإبداء الرأي بعد أن كان في حدود ضيقة ، واستلهم الأخيلا الفياضة . وشحذت أفكاره الخصبة من المناظر الطبيعية لبنجاب من الحقول اليانعة ، وانبتاق الفجر عبر الأنهار الجارية واستيقاظ الطيور المغردة وسير الغزلان وسط الأشجار الياسفة والسحب الكثيفة في أيام المطر وموسيقى هبوط الأمطار وما إلى ذلك واستغل "جرونانك" هذه الفرصة السانحة لنشر تعاليمه الدينية بواسطة الأشعار

الخصبة الفنية بالأخيلة الناضجة . وجعل مدار قصائده وخطبه تقوية الروح المعنوية في الناس .
وأحسن وأجود أعماله الأدبية "جاب صاحب" أي أدعية الصباح .

النفوذ الغربي في الأدب البنجابي

إن النصف الأول للقرن الذي تلا الاحتلال البريطاني في الهند لم يكن يزدهر فيه الأدب الهندي بطريقة ملحوظة ، واحتاج إلى عدة سنين لاسترجاع طبيعته الأصلية من أثر التطورات السياسية والنفوذ الغربي . وكان الحكام الإنجليز الأول يعتقدون بأن الثقافة الشرقية لا قيمة لها ، والأحسن للهنود أن يقتفوا الأوربيين . وأن جيلا واحدا من الشعب الهندي قد وافق على هذه النظرية ، وظنها حقيقة ، واشربوا من العقليات الإنجليزية حتى كادوا ينسون التقاليد الهندية وثقافتهم التي ورثوها جيلا بعد جيل ، وابتعدوا عن التعاليم الشرقية العريقة . ولكن الجيل الذي تلاه تنبه إلى هذه السقطة التي وقع فيها سلفه وتسابق في إزالة الغبار عن الذخائر القيمة للهند القديمة ، وانتشر بصيص من المساعي المشكورة في شتى أنحاء الهند في هذا المضمار . كما كانت بنجاب آخر بقعة تأثرت بالعوامل الغربية ، كانت آخر الولايات الهندية في ميدان التخلص من آثارها ومضاعفاتها ، وعلى هذا يقال إن الإصلاح الحديث في الأدب البنجابي أتى متأخرا إلى بقية أنحاء الهند . وأن الأدب البنجابي الحديث في بدايته كان يتناول كثيرا من التطورات الاجتماعية والسياسية التي أحدثتها حركة "سنگ سبها" وكان الإنتاج الأدبي يعتنى أولا وقبل كل شيء بالقضايا التي واجهها دعاة الحركات المختلفة التي جرت في ذلك العصر . وظهر في ذلك العصر كتاب مهرة كانوا يعالجون القضايا السياسية والاجتماعية الوقئية نظرا لصالح الأدب وحده .

الشعر البنجابي

ولا يزال الشعر – حتى في جيلنا الحاضر – جزء هاماً من البيان الأدبي . ويزداد عدد الشعراء الجدد يوماً فيوماً في الأدب البنجابي . وتخصص الصحف والمجلات البنجابية جزءاً كبيراً منها الشعر والشعراء ، وأما ندوة الشعر البنجابي المعروفة "بنجابي كوي دربار" فتجذب أكبر عدد من الحاضرين في الاجتماعات الدينية والسياسية .

ومعظم هذه الأشعار الحديثة يعالج مسائل مختلفة حالية في أساليب شتى حيث لا تتجاوز حد الاعتدال . ونشأ شاعران خرجا عن حد الاعتدال وحالة الوسط في تناول المواضيع التي يواجهها الشعب – وهما "موهن سنغ" و "أمر يتابريتام" وكان "موهن سنغ" رئيس تحرير المجلة الشهرية "بانج دريا" أي الأنهر الخمسة ، ونزل إلى ميدان الشعر ببداية طيبة ميمونة إذ نشر قصائده الشهيرة "ساوياباتر" و "كسوميرا" و "ادهواتا" وعد في مقدمة الشعراء الملهمين الجدد .

وبفضل الأشعار التقدمية "لموهن سنغ" اندلعت الشعلة الأولى للاشتراكية تمنح تشجيعاً للذين كانوا يعانون الظلم الاجتماعي ، تحريضاً على مزيد من النشاط الثوري . لقد كان يصب جمالاً فائضاً في شعره ونثره وعد من طليعة الشعراء التقدميين في البنجابية .

وأما الكاتبة الشهيرة "أمريتاتريتام" فهي الآن منبع المؤلفات الأدبية الشائعة في كل من البنجابية الباكستانية والهندية . وإن لم تكن كاتبة تقدمية أو ذات دعوة خاصة ، ولكن أشعارها تمتاز بسذاجة الألفاظ وبساطة المعاني ونضارة التشبيهات تستميل القلوب بلا صعوبة أو تعقيد . وهذه صفات جليلة ربما تغطي النقائص التي تحيط بالمعاني أو الأفكار التي تدور حولها أشعارها وتتجلى في كتاباتها بصفة عامة الشعبية والفطرة ، مع اختيار المصطلحات الرائجة والجارية على السنة عامة الشعب وخاصتهم . وهذا هو السر الأكبر الذي يفتني وراء نجاحها وتفوقها على كثير من أقرانها .

الأدب النثري البنجابي

والشخصية البارزة في مضمار النثر : "جرو بخش سنغ" وبدأ نشاط حياته كمهندس ، ثم توجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمواصلة الدراسات العليا فيها ، وبعد عودته منها لم يستمر في عمله كمهندس ، بل كرس حياته للتجديد في الآراء والأمور الدينية . وشرع في مهمته ونشر آرائه في مجلة "بريت لارى" الشهرية وأنشأ مركزاً للأعمار الريفية باسم : "بريت نجر" .

ويقع الآن في حدود الهند والباكستان ، وأصبح "بريت نجر" مركزاً لأنواع من النشاط الأدبي والعلمي . وإن كتاب الرسائل الذي وضعه "جرو بخش سنغ" باسم "سافوين بادهري زندجي" جعله أحسن كتاب رسائل في النثر البنجابي . كما أنه صار بمثابة الهام لعدة كتاب جدد منشعبين بالمبادئ الاشتراكية ومنهم نجله "توتيج سنغ" وقد زار كل من الأب والابن الصين والاتحاد السوفيتي وكثرا من البلدان الأوروبية لحضور "مؤتمرات الأمن" ومما لا شك فيه أن معظم مؤلفاتهما ورسائلهما مليئة بتجارب العالم الخارجي ، وتنعكس فيه الاتجاهات الحديثة في الآداب الأجنبية .

الروايات

وفي ميدان الرواية بلغ الأدب البنجابي أرقى الدرجات ، ولا تزال الروايات العديدة حول مختلف الأفكار تصدر يوماً بعد يوم ، ولكن يقال بصفة خاصة إن معظمها خال من العناصر الجوهرية لرواية مثالية كاملة . ولقد حاول "ويرسنغ" - مع كونه شاعراً بطبيعته - كتابة الروايات ، إلا أن المادة الجوهرية للروايات المثالية أعجزته . وقام عدد من الكتاب الشبان مثل : "دجال" بكتابة القصص القصيرة أو سلسلة من القصص القصيرة باستخدام نفس الشخصيات في كل منها ، حتى تصل إلى درجة الروايات وأشهر شخص في هذا الميدان "نانك سنغ" - مع كونه شاعراً بطبيعته - فقد كتب أكثر من ستين رواية إلى الآن ، وهو كاتب قدير واسع الاطلاع في شتى العلوم والفنون .

القصص القصيرة

وأما كتابة القصص القصيرة فهو الميدان الهام الذي حاز فيه الكتاب البنجابيون نجاحا مرموقا . ومستوى القصص القصيرة التي تظهر في المجالات البنجابية عال جدا ، يمكن أن يقال بأن الفضل الأكبر لهذا التقدم الذي نراه - عموما - في القصص القصيرة البنجابية إلى رائدها "سانت سنغ سكهون" الذي أقتفى أساليب القصص القصيرة الأوروبية والأمريكية في كتابته ، وتجنب طريقة الحكاية المستقيمة الصريحة ، واتبع الطريقة الخاذقة البارعة ، وقد أعطى هذا التحول للقصص القصيرة الحديثة جاذبية وقبولا حسنا ، وشوق القراءة لدى القارئ من النواحي النفسية والفكرية . واتبع القصص الشهير ، "كرتال سنغ دجال" منهج "سكهون" في قصصه وقد برع "كرتال سنغ" بسبب اطلاعه الواسع على اللهجات المختلفة للغة البنجابية سيما في مديرية "راولبندي" وكان يستخدمها بطريقة ذات أثر بالغ ، نشر أكثر من مائة قصة قصيرة وأشهرها "سورسار" و "نوان جهار" وكذلك كتب عدة روايات تعالج المشاكل والمتاعب التي تبعت تقسيم القارة الهندية ، ولكنها - كما أوضحنا من قبل - لم تصل إلى درجة الروايات الممتازة ، وهي بمثابة القصص القصيرة المتجمعة .

المسرحيات

وأما المسرحيات فهي لم تحتل بعد مكانة مرموقة في الأدب البنجابي ، والسبب الأصلي لهذا التراجع في هذا الجزء الهام من الأدب الحي قلة المسارح المنظمة في البلاد ، وقصارى أمل الكتاب المسرحيين أن يجدوا قراء لمسرحياتهم ، أو أن تزداد من المحطات الإذاعية ، وقد زاد الطين بلة قلة الممثلين المهرة ، والذين نالوا تدريبات ابتدائية في المدارس والكليات لا يتمكنون من الأداء المسرحي الممتاز ، وكل هذا وذاك قد ساعد على تقليل ذوق عامة الناس في المسرحيات سواء فوق المسارح أو في الاستديوهات أو الحفلات الاجتماعية وغير ذلك .

أما "كوميديات" البروفسير "ناندا" فقد أصبحت بمثابة ملهة مضمكة مبهجة بواسطة الحركات المثيرة والأعيب اللفظية ، وما زالت موضوع حديث للأدباء البنجابيين ، وقام بعض الكتاب بجهود في نشر المسرحيات الحديثة في الأدب البنجابي ، فحاول "جورديال سنغ كهوسلا" التخصص في مسرحيات الأطفال وخلق الممثلين من المدارس الابتدائية ومدارس الروضة ، وفي مقدمة مشاهير كتاب المسرحيات المعاصرين "بلونت جارجي" ، وقد اشتهر بمسرحياته اليسارية وقضى مدة طويلة في الاتحاد السوفيتي والبلدان الأوربية في دراسة المسرحيات وطرق آدائها في تلك البقاع ، وأكثر مسرحياته انفعالي يثير العواطف ويستهدف الأغراض السياسية ، وتمتاز مسرحياته بالتقريرات المصوبة ، وهزليات بالمشاكسة ، وقد منحت هاتان الصفتان الحوار جاذبية وروعة ، واستخدامه اللهجات فلاحية منطقة "بتيالالا" ألبس مسرحياته ثوب الخشونة والرصانة حيث تتفق مع نظرياته الفلاحية وبدأ :جارجي" كتابة الروايات أيضا حول المواضيع التي تدور حولها مسرحياته السياسية والاجتماعية .

لغة تلوجو

هي لغة يتحدث بها أكثر من ثلاثين مليون نسمة في جنوب الهند ، وتعتبر لغة تلوجو ثانية اللغات شيوعا في الاتحاد الهندي تدعى "تلوجو بهاشا" وبعض المؤرخين قسموا اللغات الهندية إلى قسمين : الدراودية ،والآرية ، وعدوا تلوجو ، والكنادية ، والتاملية ، ومليالم من اللغات الدراودية ، وفي هذه اللغات كثير من الألفاظ السنسكريتية ، ولغة الدراوديين لغة قديمة ، وترجمت الملحمة الهندية الكبرى "مهابهارت" إلى تلوجو قبل زمن بعيد ، وقام بهذه المهمة الأديب الكبير "ننايا" .

وتبعه عدد من الكتاب في الترجمة والتأليف ، وكان الملوك والأعيان حينذاك يشجعون النهضة الأدبية ، ودخل الأدب التلوجي في دور حي من القرن الحادي عشر ، واستمرت تلك الحالة إلى القرن الخامس عشر ، ومن أشهر الكتب التي تمثل الحياة الحقيقية للناطقين بهذه اللغة : "أندھرا مهابھارت" لننايا و "أندھرابھاجوادم" لـ"بوتنادھم" وناى شادھم لـ"سرنياادا" وفي عصور أباطرة وحي نجر (من القرن الخامس عشر إلى السابع عشر) حدث تحول جديد في الإنشاء الحر المعروف ، "براباندا" وكان يقود تلك المدرسة الشاعر البلاطي "بدانا" ووضع قصيدته المشهورة "مانوجرترا" ، وتلاه في هذا الميدان الأمبراطور "كرشنا ديورايا" و "رام رجا بهوشانه" و "نيكالى: و "سورانا" وغيرهم ، وأما طريقة براباندا فكانت معروفة في أشعار الفتوحات في العهود القديمة والوسطى .

وقد امتازت تلوجو بهذه الطريقة عن سائر اللغات الهندية في جودة بحورها وحسن قوافيها ، وتطور أدب تلوجو في فنون الرقص والغناء والتمثيلية أيضا في ذلك العهد ، وساعدت على ذلك حلاوة اللغة ووفرتها بالكلمات الموسيقية ودقة الخيال ، وكثرة التشبيهات في آدابها ، وإن أدباء اللغة التلوجو قاموا بإيجاد ثقافة هندية عامة ، ونالت أعمالهم في ميادين الرقص والتمثيلات قبولا حسنا في المناطق الهندية الأخرى .

ووضع أول مؤلف كلاسيكي في لغة تلوجو قبل مئات السنين على ضفاف نهر "جودا وري" وتحت رعاية العاهل "راجامها ندرا" وهو "أندھرا مهابھارت" للمؤلف المعروف "ننايا" .

الأدب الإنجليزي في الهند

منذ أن استقرت أقدام الإنجليز في الهند بدأ الأدب الإنجليزي ينتشر في أوساط المتعلمين ، وجدت تحول جديد في عقول كتاب آندھرا ، وفي وجهات نظرهم نحو مرافق الحياة الشعبية ، ولكنهم لم ينصبوا في هذا التيار الغربي الجارف وما نسوا لغتهم وأدبهم ، بل استفادوا من ذلك التيار وحولوا تنمية لغتهم وتغذية آدابهم بالأفكار الجديدة والنظريات الحديثة ، وكان زعيم هذه الحركة الحديثة "ورسالتجم" الذي جعل نصب عينيته الحياة المعاصرة للجيل الجديد ، ولم ينظر إلى الأساطير القديمة وتاريخ الماضي فقط ، بل طرق أبواب العلوم والآداب ، وأنجز مؤلفات قيمة حديثة عن تاريخ الآداب والنقد الأدبي والتمثيلات والقصص القصيرة والروايات إلى سير الأبطال ، والاكتشافات العلمية العصرية ، وكان يتبعه في نفس الطريق صديقه الشاب الأديب الكبير "لكشمي ناراسمهان" ونشأ في تلك الفترة عدد من الكتاب أمثال : الدكتور كرشنا ماجارلو ، وتروباتي ، و نكتاشاستري وأباراؤوباسو راجو وسباراؤ ، وأما تروباتي كاولو فقطدأنقذ الشعر التلوجي من الأساليب الكلاسيكية، وأخرجه من الدوائر الملكية وأوساط الكهنة ورجال البرهمة إلى الميدان الشعبي ، وبدأ يمثل الفكرة القومية الوطنية بعد أن كان منحصرا في المدح والثناء على الملوك والحكام ، وفي وصف المعابد والكهنوت ، كما أنه سهل أوزانه وأدخل تعديلات في بحوره وقوافيه وقصيدة "بدها جر يترم" قصيدة طويلة تمثل نهضة تلك الفترة المتطورة والأشعار الروائية التي كتبت في هذا العصر مبنية على طرق وأساليب مهابھارت، وتبعه في هذا الميدان رايا برولو سبھاراؤو كرشنا شاستري وأمثالها .

ومما هو جدير بالذكر أن الأدب التلوجي قد تأثر كثيرا بالحركة الوطنية في البلاد التي ابتدأت في عام ١٩٠٥ ، وإن الآداب البنغالية التي قام بترويجها وتهذيبها الأديب المشهور بنكيم شندرا والشاعر الكبير طاغور قد أثرت في تلوجو قبل أن تؤثر في اللغات الأخرى في جنوب الهند ، وتأثر الجيل الحاضر المعاصر لكريشنا شاستري بنفوذ الأدب الإنجليزي في أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين ، وكذلك تأثر إلى حد ما بالأدب البنغالي الذي نهض به الشاعر الكبير طاغور

وكانت الفترة ما بين عام ١٩١٥ و عام ١٩٣٩ فترة التطور الذهبي في الأدب التالوجي وأخرجت تلك الفترة فطاحل الأدباء الشبان ، ونشطت حركة الترجمة والتأليف خلال الحرب العالمية الأولى ، ويعتبر هذا العصر من أنشط العصور في ميدان النهضة الأدبية في تلوجو ، ويقال بأنه يشبه عصر ياريكاز في أثينا ، وعصر أليزابات في إنجلترا ، أو عهد بهوجا وكريشنا ديوارايا في الهند ، ومن إنتاج ذلك العصر الأغاني الموسيقية والأشعار الخيالية والروايات والقصص القصيرة ، والتمثليات ، وكانت التمثليات من أهم المواضيع التي اهتم بها الكتاب ، وفي الأشعار الهندية الكلاسيكية يجد القراء شخصية الشاعر من خلال سطورها ، ويتجلى فيها تأثر الشاعر بالظروف المحيطة به ، وكذلك آثار فرحه وهدفه في الحياة والشعر المعروف في تلوجو ، "بهاوا كاوى" ملئ بالاستعارة والتشبيه بطريقة أخاذة ، وأما الحب الأفلاطوني فمن ميزات القصيدة التي وضعها الشاعر المعروف "رايابر ولو سبهاراؤ" ، وأما الشعاران الكبيران "شيوشنكر شاستري" و "ستيانارينا شاستري" فكانا يحاولان إيجاد وحدة في وجهات النظر إلى الحياة والطبيعة البشرية ومن أشهر قصائد "ستيانارينا شاستري" قصيدة "ديبا والي" وقد اشتهر شيواشا نكرا شاستري بقصيدته "هرديا سوارى" .

العصر الثوري

دخل الشعر في تلوجو في دور ثوري منذ عام ١٩٣٥م وامتاز ذلك بالشعر بالشعبي ، وكان الشعراء مثل "شري نواسا راؤ" يتناولون حالات الطبقة العاملة والمجتمع الفقير ، وشنوا حملة شعواء ضد الأساليب القديمة من مدح الملوك والثناء على الحكام ، ونزلوا إلى الحقوق والمصانع واتصلوا بالعمال والفلاحين ، وما كانوا ينظرون إلى الإنتاج المحلي مثل – باعتباره عملا رائعا فنيا ، ولكنهم ينظرون إليه كعمل قام به العمال تحت وطأة السطوة والجبروت . وقطع هذا الجيل من الشعراء الثوريين الأسلوب القديم من الاستعارات والتشبيهات التي تظفي على الحقيقة والتكرار الملل، وحاربوا التفرقة الطائفية والتمييز العنصري والتطاحن السياسي ، وكانوا يستخدمون الأساليب الحرة الصريحة الخالية من التصنع والتطويل الممل أو الإيجاز المخل . ومن قادة هذه المدرسة

الثورية الجديدة : "سندراراما" و "ونكتا شاستري" ومن الأعمال المعروفة لسندراراما قصيدته المشهورة (بنجاوتى) في الوطنية الحامية ، والثورة الشعبية في ميادين الحياة .

وأما القصص القصيرة في أدب تلوجو في الأسلوب الحديث فانتشرت في أوساط الشعب بطريق "أباراؤ" قبل خمسين عاما ، ثم تطورت وتقلبت حسب تقلبات الزمن والأحداث ، حتى أصبحت الآن جزءا هاما من الأدب المعاصر ، واحتلت مكانة ممتازة في أدمغة الجماهير ، ويتزعم هذه المدرسة في الوقت الحاضر "دنتادكش تولو" وإن طريقة كتابته القصص تمثل أبسط الأساليب ، وأسهلها لدى عامة الناس ، وتتناول مختلف شعب الحياة البشرية رجالا ونساء ، صغارا وكبارا ، ويعتبر القصص المعروف "جننا دكش تولو" أستاذ الجيل في أندھرا ، وهناك كاتب قصص آخر كثيرا ما يعالج الشؤون الداخلية للحياة العائلية والمنزلية ، وهو "نراسمها راؤ" الذي نجح إلى حد ما في حقل الخدمة الاجتماعية في تحسين أحوال الطبقات المتوسطة المتعلمة ، واستطاع أن يعقد لواء الألفة بين أفراد القبائل المتشاجرة ، ومن ناحية أخرى يقوم القصصي الآخر "ونكتا جالام" بكتابة القصص الممتازة حول الشؤون المتعلقة بالنهضة النسوية في البلاد ، ويؤكد في كتاباته بضرورة التساوي بين الرجال والنساء في الحقوق الوطنية والسياسية ، وأما القصصي المشهور "بابي راجو" فيجعل مواضيع قصصه حياة الأدباء والكتاب والشعراء في العصر الحديث ، وما يلاقونه من المتاعب أو المساعدات في سبيل تحقيق أهدافهم النبيلة ، وكذلك يتناول الميادين التي يخوضون فيها بأخيلتهم المرححة وعقولهم المتفتحة ، وأقلامهم الحرة النزيفة .

والرواية الأولى التي وضعت في تلوجو: "راجا سكھرا جرترم" لـ "ويراسا لنجام" وصدرت في أواخر القرن الماضي ، وهي صورة حية لعائلة برهمية متوسطة ، قام بترجمتها إلى الإنجليزية كاتب إنجليزي معروف ، وتبعه في هذا الميدان بعض الأدباء أمثال "لكشمي نراسمھان" و "كاوولو" و "لكشمي ناراین" وغيرهم ، وترجمت روايات عديدة من اللغات الأوردية والهندية والبنغالية إلى تلوجو في السنين الأخيرة ، إلى جانب مئات الروايات المكتوبة في تلوجو نفسها بأيدي فطاحل الروائيين في أندھرا .

وامتازت اللغات الهندية في العصر الحديث بكثرة التمثيليات والمسرحيات بحيث لا تخلو مدينة أو قرية إلا وتعرض فيها تمثيليات تمثل نواحي حياة الشعب المختلفة ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا الفن قد أصبح مصدر رزق لطائفة من الفنانين الذين اتخذوه مكسبا ، بينما يستخدمه المصلحون الاجتماعيون والزعماء السياسيون لتحقيق غاياتهم والدعوة إلى مبادئهم وأما أندھرا فقد أنجبت عددا من الفنانين البارعين مثل " هاري برسادراء" و "راجھوآجاري" و "ستانم نراسمھا" ومن المسرحيات المشهورة في تلوجو "نارتنا سالالا" لـ"شواناتا" و"كنجانا مالالا" "لجندراسيكرام" . وأما أدب "تلوجو" فتنقصه مسرحيات طويلة العرض كما توجد في اللغات الأخرى الناهضة ، وتنقصه أيضا الأدوار المتقطعة على المسارح ، ويقال بأن الكتاب الجدد تركوا هذا الميدان لدور السينما والسينمائيين ، ولا يعني هذا أن أدب "تلوجو" يخلو من كتاب المسرحيات الطويلة مطلقا ، بل ونرى فيه عددا لا بأس به من كتاب المسرحيات الطويلة وذات الأدوار المتقطعة أمثال الكاتب القدير "راجا منار" و "نرالا راؤ" و "مدوكريشنا" و "أجاریا أثرايا" وإنتاجهم المسرحي الحديث معروف ، وتمتاز تلك المسرحيات من الناحيتين الأدبية والعرضية على حد سواء .

وموجز القول أن الفن الشعري في تلوجو لا يزال في تقدم باهر ، والشعراء يتناولون مختلف المرافق لحياة الشعب ، ويساهم الشبان فيه مساهمة فعالة ، والمسرحيات وتروجها بين الشعب في المدن والقرى وقد أصبحت القصص القصيرة اليوم أحب الفنون والآداب إلى عامة القراء ، ولا تزال المكتبة الحديثة في "تلوجو" تزودهم بأحسن أنواع القصص القصيرة وأروعها ، ولا ينبغي لنا في هذه الآونة أن نتغاضى عما للنقد الأدبي من مكانة مرموقة في "تلوجو" ، وهي الآن من اللغات الفتية الجذابة التي ستحتل مكانة ممتازة في صفحات تاريخ آداب اللغات الهندية .

الكنادية

اللغة الكنادية هي اللغة الشائعة في بلاد ميسور بجنوب الهند ، وتبلغ مساحة ولاية ميسور حوالي خمسة وثمانين ألف ميل مربع ، بينما يبلغ عدد سكانها خمسة وعشرون مليون نسمة ، ويرجع تاريخ نهضة الأدب الكنادي إلى القرنين السادس والسابع للميلاد ، ولكن المنثورات والمنظومات الكنادية بدأت تصل إلى قمة الانتشار والذيع من الربع الأول للقرن التاسع ، وأول منظوم مشهور في لغة كنادا وضعه الشاعر الكبير (دروينيتا) باسم (كاوى رجاما رجا) في عام ٨٢٥ للميلاد ، وأما المنثور الذي وصل إلينا من الأدب الكنادي فهو كتاب "ودارادنا" الموضوع في عام ٩٢٥ ، ويقال إن الفترة ما بين ٩٢٥ و ١٠٥٠ م كانت عصرا ذهبيا للأدب الكنادي القديم ، وألفت خلال تلك الفترة الملحمة المشهورة "شمبو" ودخل الأدب الكنادي من عام ١٠٥٠ م في طور جديد ، وذلك نتيجة لحدوث علوم جديدة في هذه اللغة وأسلوب حديث في كتابتها ومناهجها ، واستمر ذلك التطور الميمون إلى عام ١٣٣٦ م ، وفي القرن السادس عشر ألفت الملاحم المشهورة "كماراوياس" و "لكتشمي شا" و "رتناكراورني" و"ويراشيوا" ، واستمرت هذه الحركة في انخفاض وارتفاع إلى منتصف القرن التاسع عشر ، حين ابتدأ العصر الحديث للأدب الكنادي ، ومما هو جدير بالذكر أن الأفكار الجديدة المتطورة بدأت تتحرك في أذهان علماء الهند وأدبائها منذ أكثر من قرن مضى ولسنا بمبالغين إذا قلنا إن النهضات التي حققتها الهند الآن هي من نتائج تلك الأفكار ، وإن الأدب الكنادي قد اغترف من ينابيع تلك المدارس الحديثة ، وتحولت اللغة الحديثة الكنادية إلى قالب يصاغ به أحسن وأحدث أنواع الآداب الحديثة والفنون الجميلة ، وكان كتاب "مدرا منجوشا" لكمبونرنا نقطة تحول من العصور الوسطى في اللغة الكنادية إلى عصر حديث والرواية السنسكريتية المعروفة باسم "مدرا راكتشا" قد نقلت إلى اللغة الكنادية بكل ما فيها من دقة الخيال وحسن التمثيل وخصب الأفكار ، وقد كتبت تلك الرواية في أسلوب يمثل الطريقة الوسطى والحديثة الكنادية ، ويمكن أن يقال إن الأدب الكنادي معظمه في النثر ، ولكنه لم يتغاض عن الشعر على وجه العموم .

وظهور الأدب الإنجليزي والأفكار الغربية في أفق الهند لم يغير في كثير أو قليل من خصائص اللغات الهندية ومميزاتها ، بل أضاف ذلك التيار الغربي فنونا جديدة - إن صح هذا التعبير - إلى

الأدب الهندية ، وكان ذلك التيار محركا لكتاب الهند وأدبائها نحو تنمية لغاتهم وتغذية آدابهم بالفنون العصرية الحديثة مثل : المسرحية والتمثيلية وفن الخط ، والموسيقي والأنشيد وغيرها من الفنون التي تزيد الأدب جمالا وروعة ، وفي بداية الأمر طالع الكتاب الهنود المؤلفات الغربية الحديثة ، وأما الأدب الكندي فاستفاد كثيرا من التمثيل الشعري والمسرحيات التاريخية لشكسبير ، إما على سبيل الاقتباس أو الترجمة المباشرة ، ومن ناحية أخرى بدأ عدد من التمثيليات الكندية يعرض فوق المسارح بطريقة غربية ، ونهضت الموسيقي الكندي والأوبرا على منوال الأدب الإنجليزي ، وهذا التطور الحديث ساعد على خلق جيل جديد من الكتاب الذين يستلهمون طريقة كتابتهم أو أفكارها من الأدب الإنجليزي .

العصر الحديث

بدأ الأدب الكندي يدخل في دور حديث منذ دخول فن النقد والمسرحيات الحديثة في اللغات الهندية ، وذهبت البعثات الهندية العلمية إلى إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، وكان فيها عدد من الشبان الذين كان لهم شغف عميق بالأدب والفنون الجميلة ، فحاولوا أثناء إقامتهم في تلك البلاد أن يستفيدوا من الثقافة الغربية ، وهذه الطبقة المتعلمة الحديثة هي المسؤولة عن تسرب الأساليب الحديثة في الروايات والشعر في الأدب الكندي مثلما عمل "كيلاسم" و"آديا" في التمثيليات و"جوكاك" و"سداسيواراؤ" في الشعر .

ومن المعروف أن الفكرية الفلسفية قد ابتدأت في الهند منذ عصور بالغة في القدم ، بيد أن النظام الإنجليزي للتعليم في جامعاتنا قد خلق تطورا جديدا في البحوث العلمية والكتابة الأدبية ، مثلا إننا نجد الآن في اللغة الكندية كتبا عديدة في معظم المواد الطبيعية والعلوم الحديثة الأخرى ، وكذلك العلوم الاقتصادية والاجتماعية الحديثة حتى أصبحت لغة الدراسة في الجامعات وسلسلت بفضل النهضة المباركة التي حدثت في ميدان الصحافة ، فبدأت الصحف تتبع طريقة جديدة في إصدار الجرائد واختيار أبوابها وتنسيق أخبارها ، واختارت المدارس والمعاهد العلمية المنهج الحديث لتعليم

الأطفال ، واضطرت أحيانا إلى ترجمة عدد من الكتب الغربية إلى المحلية بسبب انعدام المؤلفات المناسبة في تلك اللغة حول المواد المقررة طبقا للمنهج الحديث ، ولا يمكن أن يقال إن هذا العصر الغربي قد غير شيئا من أصالة الأدب الهندي القديم وأسلوب تفكيره المتوارث ولكنه خلق جوا خاصا تفوح منه رائحة الأدب الإنجليزي على أفق الأدب الهندي القديم .

ولكن هذا التحول كان من مقتضيات الزمن التي لا مفر منها ومن مقدمة أولئك الذين غدوا الأدب الكندي بالأفكار الخارجية الأديب المشهور "باشاوابا شاستري" الذي ترجم عطيل (Othello) إلى اللغة الكنادية ، كما أنه أحسن من ترجم "شكنتلا لكاليداس" "ترماري" تفسيراً جديداً للملحة المشهورة (كدمباري) وكانت ترجمة الملاحم السنسكريتية من العادات الشائعة في الأدب الكندي ، وتوجد في هذه اللغة تراجم "يراناس" والنصوص الويدية وأوبانيشد وغيرها .

وأما الدراسات التاريخية على المناهج الحديثة فقد ابتدأت في الآداب الكنادية منذ أن وضع "رائس" كتابه المشهور (The Epigraphica carnalica) و "كتل" معجمه الإنجليزي والكنادي ، بينما ابتدأت الدراسات النقدية من صدور كتاب "كوى شرت" في عدة مجلات ، وأما "كاويا كالاتدهي" أي ذخيرة الأشعار فيعطي فكرة عامة للقراء عن الذخيرة الشعرية في الآداب الكنادية ووضع "شري هلا كتي" كتابه المشهور (وجناس) عن الأدب الكندي على وجه عام ، وهذا الانقلاب العظيم قد أحدث نهضة شاملة في هذه اللغة فلم تترك بابا من أبواب العلوم إلا وطرقته ، وأصبحت لغة غنية ذات أدب بليغ ومدرسة قيمة في الفنون والعلوم .

ومن ميزات الأدب الكندي أنه يحتفظ بذخيرة واسعة من تاريخ حياة عظماء الهند ورجالاتها من مختلف الولايات الهندية ، سواء من الساسة مثل : "راجارام موهن رائي" و "غاندي" أو مشاهير الأدباء مثل : "رابندرانات طاغور" أو رجال الدين الهندوس الكبار "كسوامي وويكانند" و "شري أر بندو" وهذه الخطوة التي ربما تمتاز بها اللغة الكنادية إلى الآن عن أخواتها تكسب الأدب الكندي خلودا وعظمة .

الحياة الجديدة

كان النصف الأول للقرن التاسع عشر بداية لتحول جديد في أفكار الناس ونظراتهم نحو مرافق الحياة المختلفة ، واللغة – كما هو معروف – مظهر للننتاج الفكري ووسيلة للتفاهم والاتصال بين شتى الآراء ووجهات النظر ، ودخلت الكتب الكندية والصحف المحلية في دور التجديد والتوسيع منذ عام ١٨٦٥ م ، ومن أكبر الجرائد الأولى في اللغة الكندية صحيفة "كرناداكابركاشيكا" التي كانت تصدر من مدينة ميسور ، ونشرت ترجمة كندية للإصحاح الجديد في سنة ١٨٢٣ م ، والبلاط الملكي في ميسور قد ساعد كثيرا على النهضة الأدبية في المناطق المعروفة باسم "كرناتكا" بجنوب الهند ، وخليق بالذكر أن الناطقين بالكندية على رغم كونهم قبل تنظيم الولايات الهندية الجديد منتمين إلى مختلف الولايات مثل مدارس وبومبائي وكيرالا ، كانوا يحافظون على وحدتهم الفكرية ونشاطهم الأدبي المشترك ووجد فيما بينهم تراث أدبي شامل ليكون همزة الاتصال عبر الفوارق السياسية أو الجغرافية.

وفي النصف الأخير للقرن التاسع دبت دماء جديدة في عروق الناس ، واستقرت الأفكار العصرية في عقولهم ، بدأت الأقلام تنفخ بما في مخيلة الأديب والمفكر والفيلسوف . ومن ميزات ذلك العصر المنهج الغربي في الكتابة وكثرة التراجم للكتب الإنجليزية والسنسكريتية على حد سواء . وحلت المسرحيات والروايات والسير والأعمال النقدية مكانة مرموقة بين أفراد الشعب ، وفي مقدمتها الروايات الواقعية ، وكان الروائي المعروف "م . س . بتانا" أول من أخذ هذا الفن إلى العالم الواقعي في اللغة الكندية ونجد في الرواية الكندية المشهورة "راماشوامدا" تصويرا واقعيا لحياة رجل الشارع في تلك المنطقة ، وتدور أحداث الرواية حول الحب الذي وقع بين كاتب الرواية "مدهانا" وبين زوجته "منورما" اللذين يمثلان رأس عائلة شعبية في تلك المنطقة ، وفي ذلك العصر بالذات صدرت عدة مجلات أدبية ثقافية تتبع أسلوبا حديثا في طبعها واختيار موضوعاتها وأبوابها وطراً تغيير أساس على الرقص والموسيقى وكتابة الأوبرا في الأدب الكادي بينما أصبح المبشرون المسيحيون يقومون بنشاط واسع في ترجمة الإنجيل والإصحاحات إلى الكندية بشكل ملموس . ومن سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٢٠ دخل الأدب الكندي في نهضة حديثة إيجابية بفضل هؤلاء الكتاب المهرة

مثل "بي . رام راؤ وألور ومدادودونرسما كارجا " والشعراء الكبار مثل : "اس . تي" و "وي . يم . تاتي" و "سنتاكاوى" و "كاويانندا" وهكذا عمت جميع فنون الأدب الكندي نهضة شاملة ، سيما منذ إنشاء المجمع الأدبي الكندي عام ١٩١٤ م .

العصر الذهبي

ودخل الأدب الكندي الحديث منذ عام ١٩٢٠ في عصره الذهبي ونشطت الفرق الموسيقية والغنائية في البلاد بقيادة "بي . أس شري كانتيا" وعرفت فرقته باسم "تاليرو" بينما نشأت فرقة موسيقية أخرى مشهورة في منجلور بقيادة "بانجى" و "كوبندابائي" وبدأت الفرقة تعرف باسم "منتر مندالي" وكل من هذه الفرقة أنتج أنواعا من الأغاني الجديدة والأساليب الحديثة والموسيقى في طول البلاد وعرضها كما أن هذا العصر قد تبرع بشعراء جدد من الشباب المتعلمين مثل : كي . وي . بتبا ، وسيناراميا ، وراجارتنام ، ومدهراجتا ، ومغالي وأمثالهم ، وكتبوا الأشعار والأغاني عن الوطنية الحديثة والحياة الشعبية الرائجة في البلاد في ذلك الزمن ، واختلفت فنون الأشعار وتعددت أنواع الشعر الوطني والفلسفي والاجتماعي والروائي إلى الأشعار العاطفية والمسرحية .

وأما من الناحية الروائية فصدرت عدة روايات وتمثيلات حديثة لم يسبق لها مثيل ألفها كتاب جدد ، وتتجلى مظاهر ذلك العصر الذهبي في روايات سندرشنا لـ"باتيجرى" وسانديا راجا لـ"كرشنا راؤ" وجكرا درشتى لـ"كاستوري" وكارنابروشا لمغالي ، وتمثيلية "مرالى" لكاراند ، وأصبحت الروايات التاريخية الهامة الرائجة التي وضعها "باتيجرى" و "كرور" و "ماتستى" و"ماستى" و"وي . أيار" محل إعجاب وقبول لدى القراء ، ويعد مك كبار كتاب المسرحيات في ذلك العصر "كيلاسم" و"جارودا" و "سمسا" و"آديا" ووضعوا مسرحيات متعددة تعالج الحياة الاجتماعية وتمثل العواطف الوطنية ، ومن المسرحيات الشهيرة في الكندية بدوكا "لجارودا" ومندوداري لـ"ونكتاراميا" .

القصة القصيرة في الأدب الكندي

وللقص القصيرة مكانة مرموقة في هذا العصر ، ويدعى ماستي أبا كتاب القصص القصيرة في اللغة الكندية ، ومنها القصص الفلسفية مثل الأيام الأخيرة لساربيترا، والوطنية كـ"واسومتي" والتاريخية مثل ! "ملكة نيجاجل" ومنها ما تمثل الحياة الشعبية نحو "موسارينا منجاما" .

وأما الكتاب الذين جاءوا بعده فقد وسعوا دائرة هذه المدرسة ، وأدخلوا فيها تحسينات جديدة .

ومن الأبواب الحديثة التي ظهرت في الأدب الكندي كتابة الرسائل ، مع أن جذورها كانت متأصلة فيه منذ البداية حتى وصل فن إنشاء الرسائل الشخصية إلى القمة في هذا العصر ، ووضعت مجموعة من الرسائل المعروفة وذات الصيت البعيد مثل : أحلام النهار لـ مرتي راؤ وأبانياس جالو لنارائن بهات ومنجالو بوتيج لكلكارني وسوراسيا لأديا، ومن كتاب الرسائل النقدية : تي ين اس كريشنا راؤ ، والوصفية : بونايا والقصصية بي . تي ين ، والجغرافية والثقافية : جوكاك وهلم جرا . ونجد نوعين من كتابة تاريخ الحياة في اللغة الكندية : التاريخ الاتباعي والتاريخ الإبداعي ، وكان يرأس المدرسة الأولى المؤرخ المشهور "تي . وي . جي" ويتزعم الثانية بوتايا، وللسيرة الذاتية في الكندية قسمان ، روحية ومعنوية . كما هو الحال في برالود لمدهوراكنا أو أدبية وتاريخية : مثل ما في "تن ريرس" لراجاراتنام ، وكذلك يوجد فيها ما هو سياسة محضة مثل السيرة الذاتية لدواكر وهناك عدة كتب من أدب الرحلات وضعها كتاب مثل سيتارامايا و "جوساوي" و "مانوي: وغيرهم.

وأما نهضة النقد الأدبي في الكندية فقد ساعدت على توسيع التراث القديم والمقارنة بين النظريات القديمة والجديدة وبعبارة أخرى بين النظريات الغربية والشرقية ، ويذكر من الكتب المصنوعة في النقد الأدبي في الكندية حديثا "تاريخ الملاحم السنسكريتية" من تأليف "تي. ين . اس" و "تاريخ الآداب الكندية" لمجالي "ودهوانيالوكالكرشنا مورتى" و"ششندو ويكاسا" لكار كي "ومعظم هؤلاء الكتاب أبدعوا الكثير في مكتبة النقد الأدبي ، وأسدوا خدمات جليلة في عدة ميادين للآداب الكندي .

العصر الجديد

تتجلى مظاهر العصر الجديد في الشعر الكندي أكثر منها في شعب الآداب الكندية الأخرى ، وإن لم تخل شعبة من آدابها من آثار الفكر الحديث والتحول الجديد ، والجدير بالذكر أن العصر الجديد يتناول جميع مرافق الحياة الشعبية ، ويشترك في مهمة النهوض بالأدب الكندي في العصر الجديد أدباء ينتمون إلى مختلف الطبقات والمناصب ومنهم الهندوس والمسيحيون والمسلمون والجيانيون والبراهمة وغيرهم ، ومن أشهر الكتاب الهندوسيين في هذا المضمار "لكشماشواد" و "باسوانال" و "ديسائي دنامورتي" و "مدانا" ومن المسيحيين "أتانجي" . والمسلمين "أكبر علي" و "شريف" وأمثالهم . وهؤلاء الكتاب الجدد بدأوا ينظرون إلى الطبيعة من زاوية جديدة . وجعلوا وجهة نظرهم الوصول إلى الأهداف الإنسانية العليا بدون أن تعترض فيها الفوارق الجغرافية أو اللغوية أو الطائفية ، وشحذت الوطنية الخالصة همهم وأشعلت نار الحمية في مخيلتهم . وشرع الكتاب في النظر إلى الأمور بعين التحقيق والمقارنة المادية بدون الالتجاء إلى الأوهام والتصورات الذهنية المطلقة . وبالاختصاص فالأدب الكندي يتمشى الآن بخطى راسخة مع التطورات التقدمية في الآداب الشقيقة لا في الهند فحسب بل في سائر أنحاء العالم .

لغة مليالام

هذه اللغة يتحدث بها حوالي أربعة عشر مليون نسمة في مقاطعة كيرالا الواقعة في ساحل الهند الغربي الممتد بين شاطئ بحر العرب وسلسلة الجبال الغربية ، وتبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ألف وثلاثين ميلا مربعا ، وتعتبر كيرالا أصغر مقاطعات الاتحاد الهندي .

وكان العرب يسمون السواحل الغربية في جنوب الهند باسم "مليبار" وأما أسماؤها المستعملة في الكتب القديمة في الأدب "التاملي" و "الكرنادكي" فهي كيرلم أو مليالم ، وكلمة كيرلم ، أو كيرل ، في اللغة الكنادية هي صورة مشوهة لكلمة شيرلم أو شيرل في اللغة التاملية ، ومعناها سلسلة الجبال ، لأن كيرالا تحدها سلسلة جبال في الجهة الشرقية من أولها إلى آخرها ، ومن أجل ذلك سميت كيرلم أو جيرلم . وكلمة مالابارتتألف من مجموع كلمتي ملا و بار . وتستعمل "ملا" أو "ملي" في لغات دراويدية للجيل . وكذلك تستعمل في اللغة السنسكريتية أيضا لنفس المعنى ، و"بار" كلمة فارسية ومعناها الكثير ، فصار معنى المجموع "بلد الجبال" أو "بلد كثير الجبال" وأول من سمى تلك البلاد باسم مليبار أو ملابار هم الملاحون الذين قدموا إليها من جزيرة العرب أو من بلاد الفرس وابتدأت هذه التسمية منذ القرن الخامس الهجري ، وأول من استعمل هذا الاسم من الجغرافيين العرب هو "شريف إدريس" (٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م) واستعمله بعد ذلك "ياقوت الحموي" (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) والمؤرخ المشهور أبو الفدا في كتبهما .

وورد ذكر بلاد كيرالا في الكتب العربية القديمة باسم بلاد الفلفل ولابن بطوطة الرحالة المشهور وصف رائع للفلفل في كيرالا فيقول : "وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب ، وهم يغرسونها إزاء النارجيل ، فتصعد فيها كصعود الدوالي ، وأوراق شجره تشبه أوراق الخيل ، وبعضها يشبه أوراق العليق (نوع من النبات يتعلق بالشجر) ويثمر عناقيد صغارا . . . الخ . (مهذب ابن بطوطة) .

وقبل أن نخرج على تفاصيل آداب مليالام وتطوراتها ، علينا أن نلقي نظرة خاطفة حول تاريخ كيرالا وعناصر شعوبها وعوامل لغتها ، وكانت في جنوب الهند قبل الميلاد ثلاث حكومات محلية : باننا، وشولا، وشيرا . فأما باننا فكانت في أقصى الجنوب ، وكانت الجهات الشرقية من نهر "ويلار"

إلى نهر "بلار" تحت حكم شولا ، وأما شييرا فكانت تسيطر على سواحل كيرالا الممتدة من كونكم شمالا إلى كنيا كماوي جنوبا ، وترعرت الحضارات الهندية القديمة في جنوب الهند تحت ظل هذه السلطات الثلاث ، وجاء ذكر عائلة شييرا في لوحات أثرية مكتوبة في عهد الإمبراطور أشوكا باسم شيرلم بتر، وكانت عاصمتهم مدينة كوشين ، ولا تزال آثارها باقية في شاطئ نهر بريار على بعد ثمانية عشر ميلا من كوشين ولا تزال كما كانت . وبعد ذلك بنوا عاصمتهم في ترونجي كلم الواقعة في نهر بريار.

وكان العرب يفتدون إلى كيرالا قبل عهد الاسكندر الأعظم بقرون عديدة وكانت محصولاتها تصدر إلى سواحل جنوب جزيرة العرب عبر الخليج الفارسي ، ومن هناك كان التجار العرب ينقلونها إلى "تدمر" بسوريا ، و "الإسكندرية" بمصر بطريق الحجاز ، وأما التجار الغربيون فكانوا يشترون تلك البضائع من هذا المدن ثم يصدرونها إلى أسواق بلادهم ، وكان العرب والمصريون في الزمن القديم هم الوسطاء بين الهند والروم واليونان في ميدان العلاقات التجارية ، وجاء في العهد القديم من التوراة أن الإسرائيليين كانوا يتجارون مع كيرالا في عهدي داود عليه السلام وسليمان عليه السلام .

بداية أدب مليالام

لم يعرف عن هذا الأدب إلى القرن التاسع الميلادي إلا النزر ، وبطريقة غامضة ، ولكن بدأ يصبح هذا الأدب كاملا وبلغه حية ناهضة مذ القرن الرابع عشر للميلاد ، وأول عمل أدبي وصل إلينا من أدب مليالام هو كتاب يعرف باسم "ليلا تلاكلم" ، يتناول النحو واللغة ، وقد بذلت محاولة في بعض الدوائر الأدبية لإثبات أن مليالام كانت فرعا للغة التاملية أيام أن كانت الآداب التاملية في عنفوان شبابها في العصور الوسطى لنهضتها الأدبية ، ولكن لا يوجد دليل مادي يؤيد تلك النظرية ، وإذا نظرنا إلى مليالام كلغة ذات آداب وعلوم نرى لها معاجم خاصة وقواعد وأساليب وبحورا قائمة بذاتها اللهم إلا بعض الألفاظ السنسكريتية التي استخدمت في الأشعار – وعاشت تلك الألفاظ جنبا إلى

جنب مع الألفاظ الأصلية لمليالم حتى أصبحت جزء منها ، حيث يصعب التمييز ، وفي القرن التاسع عشر ابتداء نظام جديد للتعليم يطبق في كيرالا ، فكانت النتيجة المباشرة لهذا التحول إلى نشاط التأليف والترجمة من اللكتب السنسكريتية الكلاسيكية ، لسد ما تحتاج إليه المدارس الحديثة من اللكتب المقررة في اللغة المحلة ، وتحركت أخيلة الشعراء وشحذت همهم ، ولكنهم كانوا يقتفون إذ ذاك أثر الشعر السنسكريتي في التشبيه والتمثيل ، وكان زعيم هذه المدرسة التي أنتجت مكتبة أدبية خالدة رغم قدم أسلوبها واقتفائها بمناهج المدرسة السنسكريتية القديمة "كيرالا ورما" (المتوفى سنة ١٩١٥ م) وهو صاحب الديوان المشهور "مايورا سند يشم" .

المدرسة الحديثة

ونشأت أثناء ذلك مدرسة أخرى قامت بترويج الأساليب البسيطة السهلة في الكتابات نثرا ونظما، وتزعم هذه الحركة ولاية كدغلور و "ونماني" نمبو تريباد ، وكان كل من "كنجي كتان تمبوران" في كدغلور ، وأخيه متبحرا في السنسكريتية ، لكنهما كانا يتفاديان الألفاظ العويصة في كتاباتهما كما كان يعمل "كيرالا ورما" ، وأما ونماني فسبقهما بخطوة أخرى في هذا المضمار إذ كتب قصائده في اللغة الدارجة الشائعة بين أوساط الشعب ، وبهذه الطريقة فتح بابا جديدا في أدب مليالم ، وكان طليعة الكتاب المحدثين في مليالم ، وكان الأدب النثري لمليالم مليئا بالاصطلاحات السنسكريتية النادرة والأساليب الكلاسيكية ، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد ، ولكن كيرالا ورما حاول بنفسه تبسيطها وحل رموزها وتشريح غوامضها ، ومع هذا أصبح أسلوبه العالي وتعبيره الدقيق ثقيلًا إلا على الذين تبحروا في السنسكريتية ، ولا مرأى في أن استخدام الكلمات الصعبة والأسلوب المعقد لا يتفق ولغة حية ناهضة ، وبناء على هذا لم تنل هذه الطريقة شيوعا يذكر بين أوساط الناس ، وأدركت الصحف والمجلات صعوبة بالغة في اقتفاء هذا الأسلوب في الكتابات اليومية ، وفي ذلك الوقت ظهرت على المسرح مدرسة جديدة في أدب مليالم فكتب "جندو مينون" قصته المشهورة "إندوليكا" في لغة دارجة وأسلوب سهل وكانت هذه القصة تحديا ظاهرا للكتاب الذين كانوا يكتبون في الكلاسيكية ، وأثبتت أن ميزة الكاتب القادر تكمن في إنتاج أفكاره في لغة شعبية ، وفي استخدام

الأدب للحياة ، ثم جاء أديب آخر إلى الميدان وأنشأ طريقا وسطا بين الكلاسيكية العويصة والدارجة المبتذلة وهو : "ا. ر. راجا راجا ورما " وكان نحويا معروفا وشاعرا كبيرا وناقدا حرا فوضع كتابه "كيرالا بانينيام" وهو حجة في النحو المليالي ، ، ويمكن أن يقال إنه هذب مليالم من الأساليب السنسكريتية القديمة التي وانتهى هذا الدور الإعدادي في عام ١٩١٥ م.

والجدير بالذكر أن هذا الدور مع غرابة إنتاجه الفكري والعملية كان ذا نشاط متنوع النواحي ، وزود ذلك الدور بصفة عامة أدب مليالم بذخيرة قيمة من التراجم السنسكريتية والإنجليزية وتمت فيه ترجمة الملاحم الكبرى والتمثيلات المشهورة وبعض القصائد المعروفة مثل "كمارا سمبهوا" . وفي هذا الدور أخذت الكتب الإنجليزية الكلاسيكية نصيبتها في ترجمتها إلى مليالم ، وقد تناول كتاب ذلك العصر في تمثيلياتهم ورواياتهم النظريات الحديثة المتطورة في الحياة العامة ، كما يتجلى ذلك في "كلياني نادكم " تأليف "كوجوني تهمبوران " وهو كتاب يتناول الحياة الاجتماعية الشائعة في ذلك الوقت وكذلك رواية "مريم نادكم" من وضع الكتاب الروائي "ماويلكراتراكان" التي تنعكس فيها حياة الطائفة المسيحية ، وبالجملة فإن ذلك الدور الإعدادي قد جعل مليالم لغة غنية سهلة المنال ، وغذاها بالمكونات اللازمة لنهضتها الحديثة ، وبث فيها روح النشاط الأدبي الجديد .

الدور الحديث

أما أدب مليالم فدخل في دور ثوري حديث من يوم أن صدرت في مليالم القصة المشهورة "ناليني" الكاتب "كماران أشان" وتدور القصة حول حب بريئ يتصاعد مع التزام مثل عليا في أدوارها بكل مهارة ودهاء ، وكانت نالني الوثبة الأولى للروح الجديدة في أدب مليالم ، ومن الشخصيات البارزة في حركة التجديد والإصلاح في أدب مليالم في العصر الحديث الشاعر الكبير الراحل "ولتول" ، وحدث تغير مرموق في تاريخ أدب مليالم منذ أن صدرت قصيدته المشهورة "أوروشتيرم" (أي صورة) في عام ١٩١٥ م . وكان شاعرا اجتمعت فيه مزايا العهد الماضي وصور العهد الحديث ، وأما ترجمته الحرفية لـ"راماين" التي كتبها "والميكى" فنقطة تحول في تاريخ مليالم،

وأما أقطاب النهضة الحديثة في الأدب الشعري لمليالم فهم "ولتول" و "أوللور" و "كماران آشان" ، وكان أوللور يتبع الطريقة السنسكريتية القديمة وينظر الحياة ويعالج قضاياها بوجهات نظر العهد القديم ، فلذا لم تنل أشعاره المكانة المرموقة بين أوساط الشعب ، بينما كان كماران آشان يتناول شؤون الحياة الشعبية العادية في أشعاره وكتاباته وتأثر بكثير من النهضة الحديثة في الميادين العلمية والسياسية والأدبية وغيرها ، ونالت أشعاره صيتا وبعيدا وقبولا حسنا لدى الشعب ، فوصل الأدب الشعري في مليالم إلى مكانته الحالية .

ك . م . بانيكار

ك . م . بانيكار وهو أحد مشاهير الكتاب المحدثين في لغة مليالم ، لكن شهرته في خارج كيرالا كدبلوماسي بارع ومؤرخ معروف وكاتب قدير في الإنجليزية ، وقد أخفت على كثير من الناس أنه كاتب ملهم في مليالم أيضا ، فلا نجد بابا من أبواب الأدب إلا وله فيه إنتاج قيم سواء في الأدب الشعري أو الأدب التمثيلي أو القصصي أو النقد ، ومن قصائده المعروفة "شينتاترانغيني" وبنكي برينايام وأنبايالي . ومن كتبه تاريخ حياته الذي كتبه بنفسه ، وروايته التاريخية المعروفة "كيرالا سمهام" . وتبدو من مؤلفاته وكتاباته جليا وفرة حصيلته العلمية وسعة آفاقه الثقافية وتعمقه في التاريخ .

شنكرا كروب

احتل الشاعر الكبير ج . شنكرا كروب مكانا ممتازا في الأدب الشعري المعاصر لمليالم ، وله أسلوب سهل بسيط في أشعاره تفهمه عامة الناس وخاصتهم وهو زعيم الجيل الحاضر وتغلغل إلى أعماق القضايا الراهنة التي يواجهها الشعب ، وأشعاره نموذج للمدرسة الحديثة ، وتأثرت تأهلاته

وأفكاره بمطالب الشعب الاجتماعية والاقتصادية في الوقت الحاضر ، فجاءت أشعاره انعكاسا لتقدم الجيل الجديد ، ويتناول مطالب الشعب بطريقة تتقارب مع وجهات النظر اليسارية كما نسميها الآن .

دور المرأة

وللكاتبات دور هام في ميدان النهضة الأدبية لملياليم ، ومن أشهر الكاتبات في الدور القديم أي فيما قبل عام ١٩١٥ للميلاد "أكاوأما" التي كتبت روايتها المشهورة "سبها دوار جنم" بأسلوب كلاسيكي ، وأما العصر الحديث فنجد فيه شاعرات عديدات وأدبيات شتى يلعبن دورا حيا في الأدب ، ومنهن "بالامني أما" و "ميري جون" و "باروتي أما" . وكانت "بالا مني أما" شاعرة الأمومة . بينما كانت "ميري جون" تغذي كتاباتها وأشعارها بأفكار فلسفية ودينية . ومن المؤسف أنها في أخريات أيامها أصبحت في غياهب النسيان . وتمتاز أشعارها برقة الخيال وعلو الأفكار ومثانة الأسلوب .

العصر الحديث

دخل الأدب المليالمي في دور جديد ثوري منذ ١٩٣٦ م . حيث ابتدأت الحركة الوطنية ، ونشأت مدرسة جديدة في الأدب تستلهم أفكارها من الجناح اليساري في الميدان السياسي ، وامتازت هذه المدرسة بالنقد الحر الصريح والمطالب القومية والوطنية واشتهرت باسم "بروجامنا وادم" أي الحركة التقدمية ، وفي مقدمة أبطال هذه الحركة في ميدان النقد الصريح "جوزف مندشيري" و "أيم بي پول" و "١ - بال كريشنا بلاي" ، واشتهرت هذه المدرسة في القصص القصيرة والروايات . ومن الشعراء البارزين لهذا الدور "شري دهرامينون" و "جوبال كروب" و "بالاي نارايين ناير" .

واهتمت المدرسة الحديثة كثيرا بتصوير الوقائع الراهنة بدون الالتجاء إلى التصورات الماضية .
وأما رواية "باليا كالا سكهي" أي (صديق الطفولة) . للكاتب المعروف "محمد بشير" فتعتبر من
أحسن الروايات في هذا المضمار . ومن اللكتاب المعروفين الروائيين في الوقت الحاضر "تكازي"
وروايته الأخيرة "شمين" أي الاربيان (في العامية جمبري) صورة صادقة لحياة مجتمع الصيادين
في شاطئ كيرالا ، وتعد "شمين" أحسن الروايات المكتوبة في مليالم إلى يومنا هذا . (جدير بالذكر
أنها أول رواية هندية تنشر بالعربية) ومن ضمن الأدباء الذين زودوا المكتبة الأدبية لمليالم بالقصص
القصيرة والروايات الحديثة "س .ك .بوتاكات" و "ك .ت . محمد" وأمثالهما .

التمثيلات والدراما

للمثليات والدراما أيضا مكانة كبرى في أدب مليالم ، ومن التمثليات المعروفة في أوساط
الشعب الآن في كيرالا تمثيلية "كورويلا كلري" أي مدرسة بدون معلم ، للكاتب المشهور "س .وي
رامان بلاي" التي تتناول الحياة الاجتماعية الراجحة في طائفة ناير في كيرالا . وكذلك نشط الأدب
النقدي في هذه الفترة وبدأ له دور حديث منذ أن ظهر في مسرح النقد مشاهير النقاد مثل "مند
شير" و "بول" و "بال كريشنا بلاي" وأمثالهم . والآن أصبح الأدب النقدي في مليالم جزء هاماً من
آدابها وبطريقة تقديمية إذ يتمشى مع النهج الحديث في البحث والتنقيب والتناول .

تاريخ الآداب

إن هناك نهضة ميمونة في كتابة تاريخ آداب مليالم من مختلف النواحي . وفي مقدمة الكتب
الموضوعة في هذا المضمار كتاب للمؤرخ المشهور "ب . كويند بلاي" صدر في أواخر القرن
التاسع عشر ، ومنذ ذلك الحين نشط البحث والتمحيص حول مختلف النواحي لنشاطها الأدبي . وهذا
البحث المواصل قد ألقى الضوء على نواح عدة مجهولة أو غامضة لمليالم وآدابها . وقد أسفر ذلك

البحث عن اكتشاف رجال بارزين أسدوا خدمات جليلة لأدبها في مختلف العصور ويتزعم مدرسة الأدب التاريخي فيها الآن شخصيتان بارزتان هما "ناراين بانيكار" و "ألور براميشور أيار" ويتألف كتاب تاريخ لغة مليالم وأدبها لناراين بانيكار من سبعة أجزاء . وأما تاريخ مليالم لبرميشور أيار فقامت بطبعه ونشره جامعة كيرالا . وهو ليس مجرد تاريخ لأدبها ، بل تاريخ شامل لكيرالا كلها ، ويبحث عن شعرائها الذين كتبوا في السنسكريتية وأدبها وكتابها بصفة عامة .

ويجدر بنا في هذا المقام أو نذكر اسم اللغوي الكبير الدكتور "ك . م جورج" فمن أهم إنتاجه في هذا المضمار "لاماشريتا" وهو يساعد كثيرا على تفهم التطورات الأولى لمليالم كلغة مستقلة قائمة بذاتها . ومن المؤسف جدا أن التاريخ لم يأخذ مكانته اللائقة في أدب مليالم إلى مدة طويلة إلا في كتاب وضعه "ك . ب بدمنا بها مينون" في تاريخ كوشين في مجلدين ، وبعض الرسائل والكتيبات ، ولكنها بطريقة غير منظمة مستوعبة .

الصحافة

ودخل الأدب في كيرالا دورا جديدا منذ شب نشاط الصحافة في البلاد ، ونرى الآن في كيرالا الصحف والمجلات تصدر بكثرة مع صغر حجمها . ومما يذكر بأن كيرالا أكثر مقاطعات الهند نسبة في التعليم ، وأصبح فيها الأدب جزء لا يتجزأ من حياة الشعب بصفة عامة .

مليالم العربية

منذ أن توافد العرب على "كيرالا" المعروفة في الكتب العربية باسم (مليبار) ، ساهموا مساهمة فعالة في شتى مرافق الحياة الشعبية في البلاد ، اضطروا إلى تعلم لغة مليالم لغرض أو آخر ، واخترعوا في أول الأول خروفا خاصة للغة المحلية أي مليالم ، وهذه الحروف تكتب في شكل

الحروف العربية بتصريف بسيط في بعض منها . واشتهرت فيما بعد باسم الحروف العربية لمليالم وأصبحت منذ ذلك الحين لغة محلية لطائفة المسلمين (المشهورة باسم "مابلا") أو حروفا خاصة على أدق التعبير . ومن أهم العوامل التي دعتهم إلى اختراع هذه الحروف هو حرصهم على الاحتفاظ بالنطق الصحيح وبالهئية الأصلية لبعض الكلمات العربية والمصطلحات الشرعية بدون تحريف ولا تبديل . مثل :محمد والرحمن والصلاة والقرآن . فإنه لا توجد في لغة مليالم حروف "ح ، وص ، وق ، وض" وغيرها من بعض الحروف المختصة بالعربية والباعث الآخر لاختراع هذه الحروف هو التسهيل للعرب الوافدين إلى كيرالا على تعلم لغتها بواسطة الحروف المألوفة لديهم ، لأنه يصعب عليهم الإلمام بلغة غريبة عنهم كتابة وتحدثا في آن واحد .

ولطائفة مابلا المسلمة في كيرالا آداب خاصة كما أن لهم حروفا خاصة . ومنها الأغاني الشعبية المعروف باسم "مابلا بات" أي أغاني مابلا . وهذه الأغاني تمثل غالبا الحياة الاجتماعية والفكرية والدينية الشائعة لدى مابلا ، ومن مميزات تلك الأغاني أنها تحتوي على كلمات عربية ، وفارسية وأردية وتاملية وسنسكريتية ولها أوزان وبحور خاصة ، وتصوير رائع جميل للوقائع حيث يجذب قلوب السامعين ، وكتبت معظم هذه الأغاني خاصة لطائفة مابلا في مليالم العربية . وتعتبر مليالم العربية لغة مستقلة ذات خصائص ومميزات ، وهي مظهر عام للعصر الذهبي لطائفة مابلا في ملابار ولا تزال تحتفظ بهذه الأغاني الشعبية والأناشيد التقليدية في بيوتهم ومعاهدهم وأفراحهم واجتماعاتهم جيلا بعد جيل .

أثر اللغات الأخرى في لغة مليالم

أما مليالم فمن سجيتها أن تقبل الكلمات والمصطلحات الخاصة من لغات حية أخرى ، ثم تمزجها مزجا حتى لا يعرف منشأها الأصلي ومصدرها الأول إلا باحث محقق . ومما هو جدير بالذكر أن الروابط التاريخية والثقافية بين العرب وكيرالا ترجع إلى عهود قديمة جدا ، فكان التجار العرب يفتدون إلى سواحلها جماعات وفرادى ويستوطنون هناك شهورا وأعواما ، وكانوا يساهمون

مع الأهالي في نشاطهم الثقافي ، ومن الطبيعي أن تبت اللغة السياسية نفوذها على مليالم وتؤثر فيها بشكل أو بآخر ، وأما من الناحية السياسية والإدارية والعسكرية فقد كانت الهند كلها أو جلها تحت السلاطين المغول ، وكانت فيها جيوش أفغانية وإيرانية وتركية قرونا ، وكان لهؤلاء الحكام نشاط كبير في سبيل النهضات الأدبية والفنية إلى جانب النفوذ السياسي والعسكري وكانت لغتهم الرسمية الفارسية أو الأردية ، وكل واحدة منهما مليئة بالكلمات العربية والتركية والكردية وما إلى ذلك ، فأصبحت تلك الألفاظ خصوصا فيما يتعلق بالشؤون الإدارية والعسكرية متمكنة في اللغات الهندية المحلية . وباختصار فلغة مليالم تعتبر في هذه الأيام لغة غنية لها آدابها وفنونها .

الآسامية

آسام ولاية تقع في أقصى شرق الهند ، وتبلغ مساحتها حوالي ٨٤٩٢ ميلا مربعا ، وعدد سكانها تسعة ملايين نسمة ، ولغتها إحدى اللغات المنحدرة من السلالة الآرية الهندية ، ولكنها لغة آرية خالصة من ناحية النحو والمفردات والأصواع ، وترجع اللغات : الآسامية و أوريا والبنغالية الشائعة في ولاية شرقي الهند في أصلها إلى اللغة القبلية المشهورة : " برتشيا أب برمشا" .

إن التاريخ البدائي للأدب الآسامي يعود إلى القرن الثالث عشر ، ومعظم الآداب الآسامية خلال ذلك العهد يحوم حول الشؤون الدينية ، على أن الأدب الآسامي نشط في القرن الرابع عشر تحت رعاية رجال القبائل والزعماء المحليين ، وكان هذا هو العصر الذي ترجم فيه الأديب الكبير "مادهاب كندالي" "راماين" بناء على طلب ملك"مها ما نيكيما" وترجمت أيضا إلى الآسامية فصول من "مهابهارت" أما الأغاني المشهورة "مناسا" ، فقد وضعت أثناء تلك الفترة نفسها ، ودخل الأدب الآسامي إلى دور منظم منذ بداية حركة "القيشناوية" المشهورة التي قام بها "سنكر ديو" في القرن الخامس عشر ، ويعتبر الآساميون شخصية "سنكر ديو" رمزا للحياة الأدبية والروحية في القرن الوسطى ، ولم يكتف "سنكر ديو" وأتباعه الأولون بالدعوة الدينية وبالخطب الثقافية فقط ، بل بثوا الحياة في الشعب الآسامي في جميع المرافق الروحية والأدبية والثقافية والاجتماعية ، وخلقوا كيانا خاصا متينا ، وأنتج الشعراء القديسون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر أدبا عاليا في عدة نواحي في العلوم والفنون والتراجم ، وترجموا "مهابهارت" و "راماين" و "بهجوت بران" . وكذلك أنتجوا قصائد دينية معروفة باسم "بارجيت" وتمثيلات مشهورة باسم "أنكيانات" وهكذا أصبح الأدب الآسامي خلال هذه الفترة ذا مبادئ وأسس ثابتة ، وفي القرن السابع عشر تطور الأدب الآسامي تطورا ملحوظا تحت رعاية ملوك سلالة "أهوم" ، ومن أهم ما غذت الأدب في ذلك العصر الوثائق التاريخية واللوائح والقوانين الملكية التي كتبت في الشعر في البلاط الملكي "أهوم" ، ويقال لمجموع تلك الوثائق "بورانجي" ويقول المؤرخ المعروف " ج . ا . جريرسن" في كلامه عن الأدب الآسامي لذلك العهد : "إن الآساميين لفخورون جدا بأدابهم القومية ، وتعلموا آدابهم وعلومهم الوطنية بكل شغف وبرعوا فيها .

والأعمال الأدبية التاريخية المعروفة ببورانجي ذات قيمة عظمى ، وتعلم الـ "بورانجي" والتخصص فيها لازم لكل شخص متعلم في منطقة آسام ولا يتأتى له أن يحمل كفاءة علمية إلا إذا تبحر في تلك القوانين والوثائق التاريخية القديمة ، ويبدو من استعراض عام حول الآداب الهندية أن اللغة الآسامية تزر بكتب ومقالات وضعت شعرا ونثرا في مختلف المواضيع مما جعلها إحدى اللغات الحية الهندية من جميع النواحي وتتناول تلك الموضوعات : الطب والهيئة والحساب وكذلك الرقص وغيره من الفنون الجميلة .

كان الأدب الآسامي يتطور تحت رعاية البلاط الملكي من الناحية التاريخية والقانونية ، وكان رجال الحركة "الفيشاوية" يساعدونه ، ونجد عن حياة كهانها وقديسيها عدة مؤلفات تعرف باسم : "تشرتيا پوتيس" وهذا نوع جديد في آدابنا العامة الوطنية . أما قبل ذلك العهد فإن الأدب كان مقصورا على مدح الآلهة والأناشيد الدينية وأساطير الأولين ، وأخذ يتناول شؤون الحياة لعامة الناس وزعمائهم منذ أن وضعت "بورانجي" و "تشرتيا پوتيس" .

العصر الحديث

كان النصف الأخير من القرن الثامن عشر والنصف لأول من القرن التاسع عشر فترة حالكة في تاريخ آسام وآدابها لأنها كانت ميدانا للأزمات السياسية والاختلافات الدينية والاعتداءات على أراضيها من جانب البورميين . هذا في الأعوام ١٨١٦ و ١٨١٩ ، و ١٨٢٤ ، وقد أدى هذا الغزو إلى ضياع حرية آسام واستقلالها ، وفي بداية الحكم الإنجليزي (من ١٨٣٦ إلى ١٨٧٢) كانت اللغة الآسامية تدرس في المدارس الابتدائية والثانوية وتستخدم في المحاكم الأهلية . وفي عام ١٨٣٦ نفسه وصل إلى آسام وفد تبشيري أمريكي من شيعة "المعمدانيين" وأتوا معهم فيما أتوا بماكينه طباعة كجزء من معداتهم وأجهزتهم التبشيرية ، فأصدرت البعثة التبشيرية الأمريكية منذ عام ١٨٤٦ مجلة شهرية في اللغة الآسامية اسمها "أرونوادي" ، وإلى جانب الكتب المدرسة نشر المبشرون المسيحيون مطبوعات دينية عديدة ، وابتدأت اللغة الآسامية تعيد مكانتها السابقة بفضل مساعي

هؤلاء المبشرين وبتأييد من الزعماء المحليين في عام ١٨٨٢ . وقال العالم المبشر المشهور "ب . ج . مور" في عام ١٩٥٧ في معرض الكلام عن الإنتاج الأدبي لتلك الفترة : "إن الأدب الحديث الآسامي سواء كان منه المسيحي أو غير المسيحي من إنتاج ستين عاما من النصف الأخير للقرن التاسع عشر ، وإن "براؤن" و "براؤن سن" و "ندي لوي" هم الثالوث الذي يعتبر كنواة للأدب الآسامي المسيحي ، ولكن النهضة الأدبية بكامل هيئتها قد أتت إلى حيز الوجود في بداية القرن العشرين ، وذلك بفضل مساعي الشبان الذين تتقفوا بثقافات غربية وأنشأت طائفة من هؤلاء الشبان مجلة شهرية في اللغة الآسامية باسم "جوناكي" (حشرة النار) ، ويقال بأن المحرك الأول لهؤلاء الكتاب الشبان في الأدب الحديث إنما هي الوطنية المندلعة في قلوبهم . وكانوا يغذون الأدب الجديد بأفكارهم وآرائهم العصرية وذلك في فنون القصة القصيرة والتمثيلية والروايات بالإضافة إلى الآداب الاجتماعية والدينية والخلقية . وكما قاموا بنشاط واسع في البحوث التاريخية وتأليف الأغاني الشعبية والقصة الروائية والوطنية الواقعية .

الأدب الإبداعي

إن الشعراء قد شحذوا طبائعهم الخيالية والفكرية بالأدب الإنجليزي الحديث فأصبح معظمهم يكتبون في الأدب الإبداعي ويحيون الجمال الطبيعي ، ومن أشهر الشعراء الإبداعيين في آسام "لكشمي نات" وهو في نفس الوقت روائي معروف وصحفي قدير ، تخطى التقاليد المتبعة في الشعر وأبدع نماذج جديدة عصرية ، ولم يكتف بإصلاح الطرق القديمة ، بل أوجد أوزانا وبحورا حديثة لم يسبق لها مثيل . وله أعمال خالدة في الأغاني الطبيعية والأوبرية ، وأغاني الفرق الموسيقية ، وغذى الأدب الآسامي وملاه بالعظمة عن طريق قصائده المشهورة "أمار جنما بهومي" و "آسام سنجيت" وأما الفكرة الإبداعية فقد أخذت تتأصل في الأدب الآسامي منذ أن اتخذ طريقته الأخاذة "لكشمي نات" لنشر أفكاره الوطنية ، وظهر في الميدان الوطني كاتب آخر وهو "كي بهتاجاريتا" ومن قصائده الوطنية المشهورة "جنتانال" أي الأفكار اللامعة ، و "جنتانانك" أي أمواج الأفكار . وكان يهتم كثيرا باستقلال البلاد وإزالة الفساد والظلم والجور الذي شاع في المجتمع ، وكتب "سندراكمار" عددا

من القصائد المليئة بجمال الطبيعة ورقة الخيال ، ومنها "براننما" و "بين براجي" وما إلى ذلك ، وتأثر كثيرا بالفيلسوف الفرنسي "أغسطس كومت" وظهر في مسرح الشعر أيضا عدد من الشعراء الروحيين مثل : "دور جيسورا" و "نيل ماني" . والشاعر الممتاز الآخر الذي ظهر في ذلك العصر بالذات هو "أمبيكاجيري" وإلى جانب كونه شاعرا كبيرا كان مطربا بارعا وصحفيا معروفا وسياسيا محنكا ، ووطنيا مخلصا ونشرت قصيدته المشهورة "تومي" أي "أنت" في عام ١٩١٥ - وتمتاز "تومي" برقة الخيال ، والتصوير البديع لجمال الطبيعة . وفي أخريات أيامه قد تغيرت وجهات نظره نحو الحياة بعد أن ساهم مساهمة فعالة في الحركات الوطنية .

الأدب الثوري

كان الأدب الآسامي إلى زمن الحرب العالمية الأخيرة يتميز بطابع الجمال والخيال والوطنية . ومنذ ذلك الحين بدأ الأدباء الشبان يتأثرون كثيرا بالأفكار الاشتراكية والفكرة والماركسية . وتأثروا أيضا بالكتاب الأوربيين وأساليبهم ونظرياتهم في الموضوعات الرئيسية ، وكان معظم الأدباء والشعراء من هذا الجيل الجديد الذين أتموا الدراسات الجامعية أو الذين تعمقوا في الآداب العالمية ، فتناولوا في كتاباتهم وأشعارهم بصفة خاصة الاستغلال الاستعماري والتصادم الطائفي ، وضرورة تغير سريع في الحالة الراهنة ، واستخدموا أساليب شديدة اللهجة وعبارات مثيرة لتحريك العقول الخاملة وشحذ الهمم الراقدة نحو تطور اجتماعي شامل وإصلاح عام ، وتجنبوا الأساليب القديمة واختاروا طرقا جديدة في آدابهم الحديثة ، واخترعوا تصورات جديدة وأخيلة حديثة وعبارات جذابة عصرية ، وفي مقدمة هؤلاء الكتاب التقدميين "باروا" وكان يستخدم الأساليب الخيالية والواقعية كليهما في كتاباته ، ويعالج المسائل الاجتماعية بسرد الوقائع وتصوير الحوادث معالجة تقبلها العقول وتتأثر بها الأفكار ، وأما الكاتب المعروف الآخر في ذلك العصر فهو : "ناؤكنداباروا" فوضع مؤلفه "هي آرنيا" في أسلوب مركب من الكلام العادي الذي يتحدث به عامة الناس ، شعروا جديدا مليئا بالتشبيهات البسيطة ، ومما يستعاد إلى الأذهان أن الصحافة لها دخل كبير في هذه النهضة الأدبية للأدب الآسامي في العصر الحديث ، وتعد "رامد هانو" في مقدمة المجالات التي سبقت بالمساعدة في

هذا المضمار ، فقد اجتمع على صفحاتها معظم الكتاب الثوريين والشعراء الجدد التقدميين ، كأنهم عائلة واحدة يربط أفرادها رباط الأدب التقدمي . وخرج الأدب السياسي منذ ذلك العهد من إطار التقليد إلى ميدان الإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

التمثيلية

واللغة الأسامية مهمة منذ القدم بالتمثيليات والمسرحيات ، فالتمثيلية المشهورة "أنكيانات" التي تمثل حالات القرون الوسطى في البلاد تحتل مكانة مقبولة في أوساط الشعب ، تعرض على المسارح في المدن والقرى ، ويشاهدها القرويون بشغف بالغ ، ولكن التمثيليات الحديثة نشأت فيها نتيجة النفوذ الغربي . ومن الذين وضعوا التمثيليات بالنمط الغربي "جوننا بيرام" و "همجنرا" و "رودرا رام" . وكتب الكاتب الكبير "بدمانات جوهانن" . وضعوا عدة تمثيليات نثرا ونظما حول الموضوعات المختلفة .

ومنذ أن استقلت الهند أخذت التمثيليات التاريخية والقومية تحتل مكانتها المرموقة في أوساط الكتاب ، ومن أشهر كتاب الأدب الحديث العصري "جيوتي برشاد أكروالا" و"كملندا" و "شندراكندا" ولما أتم "جيوتي برشادا كروالا" تدريبه في أوروبا تأثر إلى حدما بالنفوذ الأجنبي في إنتاجه .

القصص القصيرة

ولم يكن الأدب الأسامي إلى القرن العشرين متقدما في ميدان القصص القصيرة التي يرجع الفضل في انتشارها إلى النفوذ الغربي ، وأول من وضع قصة قصيرة بأسلوب حديث هو "الكشمي ناتيه برزبراؤ" وكان صحفيا فتجلت في قصته حالات الشعب في شتى مرافق الحياة ، وجمع الآن

قصصه القصيرة في سلسلة كتب (١) "ساتهو كتاركوكي" (٢) "جون بيرري" (٣) "سورابيهي" . وكتب "لكشمي ناتيه شرما" أحدث القصص القصيرة ، وكما أنه عالج لأول مرة حالات المرأة في المجتمع . وبعد الحرب العالمية الثانية حدث تطور عام في مواضيع القصص القصيرة و التمثيليات والروايات والأشعار ، وأصبحت هذه الفنون تعالج الآن في معظم الحالات والمشكلات والقضايا التي تواجهها عامة الناس والعمال والفلاحين ، بعد أن كانت في الماضي تعالج التطورات الاجتماعية والاقتصادية للطبقات المتوسطة . وقد أصبحت أيضا مصدر إلهام للكتاب في الوقت الحاضر ، وفي مقدمة الكتاب الذين يستخدمون أقلامهم في بيان حياة الفلاحين وموقفهم الاجتماعي قديما وحديثا الكاتب المشهور "عبد الملك" واشتهرت أساليبه بسهولة المنال ووفرة الخيال ورقة الشعور .

الرسائل والمقالات

ومما لا شك فيه أن الدراسات الإنجليزية قد ساعدت كثيرا على تقدم الفكرة الوطنية والافتخار بلغة الشعب الخاصة وثقافتها وتاريخها . وبناء على ذلك تعمق عدد من العلماء في دراسة التاريخ الماضي للأدب الآسامي وتطوراتها ، فوجدوا فيها منبعا فياضا للمقالات والرسائل التاريخية وانهمك "سوريا كمار" في كتابة المقالات التاريخية . وبدأ "بهويان" في وضع الرسائل الأدبية التي تجمع بين الأساليب القديمة والحديثة ، وكان "بنودهار شرما" يكتب المقالات في أسلوبه الخاص الجديد حول تاريخ الآداب الآسامية ، ومما هو جدير بالذكر أن "سوريا كمار" قد كرس حياته لطبع ونشر المخطوطات والنصوص القيمة في اللغة الآسامية وتبعه في هذا المضمار "هري نارائن دتا" "كالي رام مدهي" و "برنج كاما" و "بانترا جنديرا لكارو" وغيرهم ونقح هؤلاء العلماء وصححوا عددا كبيرا من النصوص القديمة في شتى المواضيع . وأثبتوا بهذه المساعي الجميلة نهضة الأدب الآسامي وخلوده . وبدأت النهضة الثقافية والاجتماعية للشعب الآسامي لأول مرة في التاريخ من مجموعات القصص والأغاني الشعبية التي جمعها ونشرها الأديان "لكشمي ناتيه بزبراو" و "ناكل جنديرا مبهويان" . ويؤكد لنا الإنتاج الأدبي الذي ظهر إلى حيز الوجود خلال النصف الأول لهذا

القرن بأن اللغة الآسامية تحوي في طياتها بذورا تمنح العظمة والخلود للتراث الأدبي للشعب
الآسامي مدى الأيام .

الأوربية

هي لغة يتحدث بها حوالي خمسة عشر مليون نسمة في ولاية أوربا الواقعة في الحدود الجنوبية الشرقية للاتحاد الهندي ، كما أن هناك مئات الألوف من الناس يتحدثون بها خارج الحدود السياسية لتلك الولاية وهي لغة القبائل القديمة المعروفة في بالبطولة والحنكة السياسية المعروفة بأسماء "كالنجاس" و "أتكالس" و "أودراس" التي نزلت من شواطئ نهر "جنجا" إلى شاطئ نهر "جوداوري" ، وكانت لها مستعمرات خاصة في أماكن متفرقة في ضفتيه . وعلى مر الأيام تشكلت منها منطقة واسعة تعرف باسم "أوريسا" التي هي الآن تحتل مكانة مرموقة في الجمهورية الهندية ، وبناء على المبدأ العام بأن اللغات تترعرع والآداب تنضج حينما تتاح لها الفرص السانحة للنضج الفكري والنهضة الفنية ، بدأت اللغات الرئيسية الثلاث في جنوبي شرق شبه القارة الهندية : الآسامية والبنغالية والأوربية تتطور وتترعرع بفضل النساك البوذيين الذين ألفوا عدة قصائد وأناشيد دينية باسم "بودها جيان" هذا في القرنين الثامن والتاسع للميلاد ، وجاء من بعدهم خلف قاموا بوضع الشروح والحواشي عليها ، ودخلت اللغة الأوربية إلى دور جديد وأسلوب حديث منذ القرن الرابع عشر ، وأما الفترة التي تمتد خلال القرون الخمسة من القرن الرابع عشر إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر فكانت تمهيدا لبداية العصر الحديث للغات الهندية الرئيسية ، ولسنا بمبالغين إذا قلنا بأن الكتب الدينية الهندوسية القديمة والملاحم الهندية الكبرى قد ساهمت مساهمة فعالة في نهضة اللغات الهندية وتطوراتها وعلى سبيل المثال فإن "راماين" و "مهابهارت" و "جيتا" و "بوراناس" كانت مصدر إلهام لعشرات من الكتاب الهنود ، والمترجمين والشارحين والناقدين في مختلف العصور .

العصر الحديث

العصر الحديث عبارة عن التحول الكامل عن الجو السائد في القرون الوسطى ، كما أنه إفلات عن الخرافات والخزعبلات الوهمية . والنهضة الحديثة التي اكتسحت العالم الغربي والاتصال الوثيق

الذي حصل بينه وبين العالم الشرقي قد ساعد على انتشار روح التقدم والإصلاح في وجهات نظر الناس وآرائهم ، وإيجاد تغير كبير في نظريتهم نحو الحياة . ونتيجة لهذا التطور الحديث نشأ في البلدان المختلفة وعي أدبي عام يتناول شتى مرافق الحياة البشرية ، حيث لم يسبق له مثيل في الأيام الماضية . ولكن الاتصال الذي نشأ بين الغرب والشرق لم يفد كثيرا الأوربية كما أفاد البنغالية وغيرها من اللغات الشقيقة لسبب أو آخر ، وأن أوربية لم يكن لها ولاية خاصة مع حدودها الأربعة إلا قبل السنوات العشرين الأخيرة . ومنذ أن فقدت أوريسا استقلالها وكيانها الخاص في الربع الأخير من القرن السادس عشر لم ترفع رأسها كولاية ذات كيان إلا فيما قبل عشر سنين لمغادرة الإنجليز من شبه القارة الهندية ، وعلاوة على ذلك فإن أوريسا لم تكن فيها جامعات أو كليات حديثة ومعاهد علمية وفنية كما كانت في المقاطعات الهندية الأخرى ، وعلى رغم هذه الظروف التي كانت تحيط بها فقد حافظت على لغتها وأدبها حية ناهضة ، حتى جاء أبو الأدب الأوري الحديث "فقير موهن سنابتي" (١٨٤٣ - ١٩١٨) وهو قائد العصر الحديث للأدب الأوري ، وكان متبحرا في خمس لغات هندية مع إلمام خاص باللغة الإنجليزية . وفي الوقت نفسه كان صحفيا مشهورا وكاتبا ملهما ووطنيا معروفا وترجم كلا من "راماين" و "مها بهارت" من النص الأصلي إلى اللغة الأوربية الحديثة ، كما كتب عددا من الروايات والتمثيلات والقصائد والحكايات اللطيفة وفي أخريات أيامه وضع حوالي ست روايات تعتبر من أحسن ما كتب في اللغة الأوربية لجودة أسلوبها وروعة خيالها ورقة تصوير مواقعها وأدوارها ومقدرتها الفائقة على التقرب إلى القلوب ، وإن "فقير موهن سنابتي" وأعماله الأدبية قد حلت محل قبول واستحسان لدى عامة الشعب بطريقة منقطعة النظير ، ومن الذين انتهجوا منهج "فقير موهن سنابتي" في سبيل تقدم الأدب الحديث الأوري في مختلف الميادين الشاعر الكبير "راد هانات" و "مدهوسدن" وهؤلاء وعدد آخر من الذين حذوا حذوهم في هذا الميدان بناء الجيل الجديد المتنور في الشعب الأوري .

المسرح والمسرحيات

وأثناء هذه الفترة الحديثة نشأ المسرح والمسرحيات في أوريسا بل وأصبح جزء لا يتجزأ من حياة أهاليها القومية ، واتخذ كتاب المسرحيات المعروفون مثل "راماشنكرارائي" و "كمبلا مصرا" و "جوبند سرديو" المسرح وسيلة للإصلاح القومي ومنصة لنشر الوعي الثقافي في أوساط الناس ، واستلهموا كثيرا في هذا الميدان من المسرحيات التمثيلية البنغالية التي قد وصلت حينذاك إلى أوج رقيها وشيوعها ، ومما يدعو إلى الاستغراب أن الكتاب الأوريين جعلوا أبطال تمثيلياتهم ورواياتهم من عظماء التاريخ الأوري مثل الملوك الجبابرة من عائلة "أنجابهيما" الذين قهروا الأمبراطوريات الكبرى وحكمت أوريسا تحت راياتهم .

ومن الطبيعي أن هذا النوع من التمثيليات والمسرحيات ذو مغزى رائع لدى شعب ذي تاريخ عريق وماض مجيد مثل الشعب الأوري ، وخلال هذه الفترة نفسها حدث انقلاب عظيم في تاريخ المسرحيات في "أوريسا" حيث قام "بايشنا ورباثي" بإنشاء مسارح ريفية في جميع قرى الولاية وأقاليمها . وكان هذا التطور الجديد حدثا هاما في تاريخ الآداب والفنون الحديثة في اللغات الهندية . ومنذ أن بدأت الحركة الوطنية في الهند وشكلت الأحزاب السياسية واشتغل الناس بالتطورات الجديدة الأخرى انصرفت الهمم إلى حد ما عن الوعي الثقافي فطرا فتور عام في ميدان الأدب وتقدمه وركود في الحياة الثقافية ، ولكن النظريات السياسية والحركات القومية لا تلبث أن تتخذ أقلام الكتاب والشعراء وأخيلتهم وسائل التوصيل إلى عامة الشعب والتأثير على أذهانهم ، فانسدت تلك الفجوة الطارئة ولو في وقت متأخر ، وأما الشاعر الكبير "رابندرانات طاغور" الفيلسوف البنغالي الذي وصل إلى أوج صيته حينذاك فكان مصدر إلهام وتشجيع لعدد من الكتاب في التمثيليات والقصص القصيرة في مختلف ولايات الهند ، وفي هذه الفترة نفسها جرى تيار شعري في الأدب الأوري حين ظهرت قصائد وأغاني في أسلوب حديث تتناول شتى مرافق الحياة الشعبية . وأنتجت تلك الفترة ذخائر ثمينة من الأشعار الملهمة والأغاني الرائعة أضيفت إلى مكتبة اللغة الأورية .

الأغاني الشعبية

بناء على انتشار الفكرة الاشتراكية والنهضة القروية دبت أحاسيس التوصل إلى أذهان عامة الشعب في قلوب المصلحين والشعراء وزعماء السياسة فنتجت عن هذه الفكرة قصص وأغان شعبية تتناول مختلف نواحي الحياة بين الفلاحين أو الطبقة العاملة ، وأوريسا - على وجه العموم - ولاية زراعية ، فكان من الطبيعي أن يكون نفوذ واسع لأفكار الفلاحين وطرق حياتهم في أخيلة الشعراء الذين يريدون أن ينزلوا إلى أعماق قلوب الشعب إثارة لهممه تحقيقا للأهداف النبيلة والإصلاحات المنشودة ، ونستطيع أن نقسم الشعراء الشعبيين إلى ثلاثة أقسام باعتبار وجهات نظرهم وميولهم وأرائهم : -

أولا : التقدميون الذين تأثروا بالمبادئ الاشتراكية أو الشيوعية وما إلى ذلك ، ويعرف هؤلاء في العرف العام باسم الشعراء اليساريين ، ومن أكبر الشعراء التقدميين الذين يعرفون بشعراء الشعب "سري ساش راوت راي" و "سري اننتا يتتاتك" على أن الأفكار النارية التي انتشرت في البلاد من خلال الأغاني الشعبية والأشعار الثورية أصبحت بمثابة الغذاء العام في مختلف طبقات الجيل الجديد.

وثانيا : الشعراء المقلدون الذين يسرون على الأساليب القديمة في اختيار الأوزان والبحور واقتناء المعاني والأفكار ، ويتمسكون في معظم الأوقات باللغات الكلاسيكية في تعبيراتهم ومنظوماتهم .

وأما القسم الثالث فهم المعتدلون الذين يعالجون المسائل الوطنية والمطالب الشعبية بصرف النظر عن الاعتبارات السياسية والفوارق الشخصية وينتقدون ما رأوه ضارا بصالح الشعب أو الوطن، ويرحبون بكل ما يؤدي إلى فلاحهما ورفاهيتهما ولا يخافون في ذلك لومة لائم بل المصلحة العامة رائدهم والخدمة الثقافية قائدهم ، وفي مقدمة هذه الطائفة "سري راجا موهن جادناتك" الذي اشتهرت أشعاره في اللغة الأوربية في جمال الطبيعة والحب والبطولة والأحداث التاريخية ، كما أن أشعاره تتم منها دراسته العميقة للأدب القديمة والفنون الجميلة والعلوم الحديثة ، وكان تيار الأغاني الشعبية في مختلف الموضوعات يكتسح أوريسا خلال الأعوام الثلاثين الماضية ولكن - للخير أو الشر - قد

طراً أنواع من الفنون في هذا الميدان منذ بضع سنين أخيرة وحل محلها نفوذ القصة القصيرة والروايات الشعبية .

الروايات والقصة الشعبية

كما سبق ذكره بدأت الروايات والقصة الشعبية تفهر الآداب الأخرى في اللغة الأوربية في السنين الأخيرة ، وأضافت الروايات الخيالية نوعاً جديداً من التحول الفكري إلى الأدب الأوربي ، وقاد هذا التحول الخطير الروائيون المعروفين "مهان تيس" و "كوبي نات" و "كانو شرن" و "شندراموني داس" وغيرهم ، ومعظم هؤلاء الكتاب كانوا يذهبون إلى مراكز القبائل المتأخرة وإلى القرى النائية الاطلاع على طرق حياتهم والاستفسار عن مطالبهم والاكتشاف لتكاليف الحياة التي يعانيتها هؤلاء وهؤلاء حتى يحلوها ويصفوا علاجها المؤثر في رواياتهم وقصصهم الشعبية . ومنذ أن أصبحت ولاية أوريسا وحدة سياسية خاصة في الأيام الأخيرة ، نالت من السلطات اهتماماً بالغا وتوجبها كبيراً لرفع مستوى الحياة الريفية ، واتخذت المسارح والروايات الشعبية وسيلة للإصلاح القومي والتعبير الريفي ، وأنشأت في أوريسا أربعة من المسارح الحية الزاخرة ، فوجدت الروايات الشعبية والتمثيلات رواجاً ملحوظاً وقبولاً حسناً فوق هذه المسارح الحديثة ، كما أنها أصبحت مثاراً لهم الروائيين وأخيلة الكتاب الشعبيين ، وقد انتهى - إذا صح هذا التعبير - عهد الروايات التاريخية التقليدية والأسطورية ، وأن أوان الروايات والقصة الاجتماعية والشعبية ، ولم يخل الأدب الأوربي من فن النقد والمعجم وتاريخ الآداب وما إلى ذلك من الأجزاء اللازمة للأدب الكامل. وقد نشر أخيراً الجزء الأول من دائرة المعارف الأوربية ، ويرجى أن تليه الأجزاء الأخرى . ونرى عدداً لا بأس به من الكاتبات البارعات في اللغة الأوربية قديماً وحديثاً وجدير بالذكر من ضمنهن الدكتورة "كنتالا كماري سبت" و "سريميتي بديوت براوا ديوي" ، وتصدر من أوريسا الآن أربع من الجرائد اليومية إلى جانب عدد من المجلات الأسبوعية والشهرية . وسجلت المكتبات التجارية في أوريسا رقماً قياسياً في السنين الأخيرة في نشر الكتب الأدبية . وتتطلع الآداب الأوربية إلى مستقبل

باهر يبشر بنهضة أدبية ثقافية فنية لكي يضيف صفحات جليلة من تراث أديها الجديد إلى ماضيها
المجيد .

الكشميرية

كشمير : هي البلد الجميل المسمى بعروس الهند أو سويسرا الشرق . . . وتقع في المنطقة الشمالية للهند ، على بعد ٦٥٠ ميلا من دلهي عاصمة الجمهورية الهندية ، وتتصل حدودها الشمالية بجبال الهمالايا الشامخة المغطاة بالثلوج ، وأراضيها مفروشة بأشجار الصنوبر والسرو ، وتجري من تحتها الجداول التي تصب فيها مياه الشلالات من قمم الجبال المغطاة بالثلوج ، وفيها لمسات الطبيعة الملهمة في وسط الغابات الجميلة والحدائق الغناء ، وتتجلى مظاهر هذه المنطقة الرائعة ، وجمال طبيعتها في أدب شعبيها ، وشعرائها ، وأدبائها بنطاق واسع ، وفيما يلي جولة خاطفة حول اللغة الكشميرية وآدابها وتطوراتها .

نشأة اللغة الكشميرية

لا شك أن اللغة الكشميرية قد صارت وارثة للبراعة الأدبية المدخرة خلال أكثر من ستة قرون في السنسكريتية والفارسية ، ولكنها لم تكن لغة رسمية للحكومات ولا لغة الدراسة في المدارس إلى في سنين متأخرة ، ويبدو من هذا جليا سبب اضمحلال الصحافة في اللغة الكشميرية وضآلتها ، وهبوط مستوى النشر فيها ، ولم يكن سبب هذا وذلك عدم النبوغ الإنشائي فيها ، بل فقر التسهيلات اللازمة للنشر ، وكذلك الجمود السائد في عامة القراء . ولكن القصص القصيرة التي وضعها مشاهير الكتاب مثل "أختر محي الدين" و"أوميش كوك" و"روشن" و"نديم" و"زوتش" و"تاج بيجوم" تبشر بمستقبل باهر للأدب الكشميري ، كما تبشر به تمثيلات "بشكار بهان" و"علي محمد" وأمثالهما وهذه الأوهام الأدبية وإن لم تكن في درجة عليا من الأساليب والمناهج ، تدل محتوياتها على خصوبة الأرض وطبيعتها للتحرك نحو حياة جديدة تنبج في كشمير ، ويفوح نفع نسيم جديد في كل من الساسة العاملين ، والفلاحين الكادحين وأفراد الطبقة المتوسطة والفقيرة والغنية ، والفنانين الناشئين والعمال الكادحين والموظفين في المكاتب الحكومية والشركات ، والجامعات والمعاهد بل في جماعات السيدات اللاتي لا تبرحن بيوتهن ويحتفظن بتقاليدهن التي ورثتها جيلا بعد جيل .

الشعر الكشميري

إن الشعر الكشميري قد احتل مكانة مرموقة وسط الآداب الشعرية الهندية ولكن النثر الكشميري لم يصل بعد إلى مستوى النثر من الآداب الأخرى ، ويرجع تاريخ التراث الأدبي في اللغة الكشميرية إلى القرن الثالث عشر إذ اختار "سيتي كانتا" لغة شعبية يفهمه الجميع لمقالته الدينية الشهيرة ، "مهانا يا بركاشا" ، وفي أول الأمر كانت اللغة الشعبية الدارجة تستخدم للأغراض الدينية فقط ، فلم تلبث أن أصبحت وسيلة لسائر الاحتفالات والمناسبات الثقافية والأدبية ، وكانت كشمير في تلك الأيام تعاني أزمات سياسية خطيرة . والنمط الثقافي – الاجتماعي كان يمتاز بمظاهر الاتصال الوثيق بين فلسفة "شيو" والتصوف الإسلامي ، وتتجلى هذه النغمة الجديدة في كلام "لال دد" (القرن الرابع عشر) ومعاصره الشيخ نور الدين ، وتشرب شعر "لال دد" بمقطوعات من الأغاني الصوفية التي تدور حول نظرية "وحدة الوجود" فكاء نمطا جديدا شيقا في هذا المضمار ، ويدعو شعر نور الدين المعروف "بنند ديشي" إلى توازن تام بين القوى المادية والروحية . وقد سبق نور الدين "كبير" في الدعوة إلى ضرورة النظام الداخلي والتجرد النفسي وفي تزعم نضال ضد الجمود الروحي والظاهرية . ودعا هذان الصوفيان الإسلام والهندوسية إلى هدف واحد مشترك ، ووجها دعوة حارة متحمسة نحو الأخوة الإنسانية والمساواة الاجتماعية والوحدة الروحية ، بصرف النظر عن الاختلافات الدينية والطائفية والجنسية والإقليمية ، وما إلى ذلك من الشكليات التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة . وأتى بعد ذلك عصر الشاعر الصوفي "محمود جامي" وملك زمام الأدب الشعري في الكشميرية على نمط "المثنوي" الفارسي ومنح تحولا جديدا للأدب الصوفي وألبسه ثوب التجدد والتطور العصري ، وأما التراجم الكشميرية للمؤلفات القيمة الفارسية مثل : "يوسف وزليجا" و "ليلي مجنون" و "كلريز" فكان تعتبر في مقدمة الأعمال الأدبية التي غذت الأدب الكشميري بمواهب الأدب العالمي . وقدم "هيمل" مثلا حيا لمواهب الأدب العالمي وللتضافر الفني والأدبي ، في قصصه الشهيرة في الكشميرية .

عهد التجديد

وأما شعراء البلاط الملكي للسلطان العالم العبقرى "زين العابدين" (القرن الخامس عشر) فلم ينقلوا "شاهنامه" للفردوسى إلى الشعر الكشميرى فقط ، بل نقلوا اللغة الكشميرية ملحمة قيمة مشهورة باسم "بانا سورا رادهها" وقصيدة تاريخية باسم ، "زينا ولاسا" (أى قصر الزين) ولكن الركود الذى ساد الأدب الكشميرى بعد وفاة راعيه الأكبر قضى على هذه الذخائر الأدبية وغيرها ، وأتى عليها حين من الخمول والجمود واستمرت تلك الحمالة إلى بروز "محمود جامى" فى القرن التاسع عشر حين استغل هذه الذخائر المكنونة فى أشعاره الصوفية ، وأخيلته الخلابية التى تدور حول الآراء الفلسفية والفكرية والروحية وقام "براما نندا" بتصوير التقاليد الشعبية الشائعة عن "كريشنا" و "شيو" فى أسلوب بسيط جيد ، وجاءت قصائده الشهيرة : "رادها سويام وارا" و "سوداما جرتا" و "شيو لجا" كنوزا للأشعار العظيمة وتشمل على ميزات الحمية "الوشناوية" والزهد "الشيوي" ، وإن كانت هذه القصائد مليئة بآراء الأساطير والأفكار الخرافية فإنها لا تخلو من القيم الاجتماعية والنص الشعري "لراماين" من وضع "بركاش رام كور" بلغ أوج الشهرة والقبول الحسن لدى عامة الشعب ، ووضع "بركاش كور" فى القرن الثامن عشر باسم "راما وتارا جريتا" ويليه الشعر التاريخي "لوهاب بارا" (القرن التاسع عشر) فى المنهج الحديث والتزام النمط الشعبي السائد المعروف .

ملكة الشعر الكشميرى

و"حباختون" (العشيقة الحاذقة لىوسف شاه تشاك) هى التى بعثت التراث الأدبى فى القرن السادس عشر ، وافتتحت دورا جديدا من النشاط الأدبى البنائى ، وتربعت فتاة فلاحه فوق عرش الشعر الكشميرى حين كان يتناول شتى نواحي الحياة الشعبية ، وتتدفق أغانيها بابتسامات ودموع ، وسادت أناشيدها البديعة ذلك العصر كله إلى عصر نبوغ "ارنيمال" فى القرن الثامن عشر للميلاد ، وكانت "ارنيمال" زوجة شاعر فارسى برهمي ، وقد منحت للغة كشمير مجموعة من القصائد الحية الرائعة تطرق جميع أبواب المشاعر والعواطف فى الأفراد ، وعلى مر الأيام قد تحولت أناشيدها إلى

أناشيد دينية وتعبدية وتبرعت إلى مكتبة الأدب الكشميري بديوانها الشهيرين "بليلا" و"نعت" . وأما "كريشنا دزدان" و "نسيم" فغزلا الخيوط الشعبية ثن نظما فيها جواهر الأغاني والأناشيد بطريقة بديعة رنانة تبهر الأسماع وتهز القلوب ، ولم يظهر الأدب الكشميري المعاصر ، سيما الشعر منه على شاشة اللغة الكشميرية إلا في أواخر القرن الماضي ، أما الشعر الهجائي "لمقبول كر الأواري" و "وهاب بارا" فقد مهد الطريق إلى ما نعرفه الآن بالشعر الواقعي ، وقام عدد لا بأس به من الشعراء في ذلك العصر بوضع كلامهم في الهجو والهزليات والمضحكات والأمور الجدية في صورة هزل . وأخيرا في الغزل ، وكان الغزلي الكبير "رسول مير" يعد في مقدمة صفوف المطربين الغزليين ، وأتى في العصر بالذات داعية الشعر الحديث الكشميري "مهجور" (١٨٨٥ - ١٩٥٢ م) وتأثر كثيرا بغزل "مير" وأسلوبه الفذ ومنذ نذ انفتح مصراع جديد في الأدب الكشميري المعاصر .

الأدب الشعبي

ينعكس في الشعر الكشميري خلال عقدين آخرين بطريقة ملحوظة مظهر النهضة الاجتماعية ، السياسية بين الكشميريين وكفاحهم المرير ضد نير الإقطاع ، ويتجلى من خلاله مدى شعور الشعب الكشميري الذي يتوق إلى تحقيق كشمير الحديثة . وكان "مهجور" أول شاعر نبه الشعب إلى التعقل والوعي والتطور الذي يأخذ بمجاميع قلوب الناس جماعات وفرادى ، ومنحت أناشيده ، المليئة بالوطنية والحماس والحمية ، للشعر الكشميري منهجا جديدا بل كسنته وجهة نظر جديدة واتجاها ذاتيا لم يسبق لهما مثيل وهذب الأساليب القديمة والتشبيهات العتيقة فيه ، واخترع أساليب واستعارات جديدة تتفق مع المطالب الحديثة ومقتضيات العصر ، وهذا النهج الجديد قد صار بمثابة صمام الأمن له من مصائب الرقابة الرسمية ، وبفضل ذلك التحول استطاع أن يوقظ في الشعب وعيا ضد نير الإقطاع والاستغلال المخيف .

وأما معاصره "عبد الأحد آزاد" فكان أكثر صراحة في مهمته ودعوته التي يتخذها مبدأ له ، وكرس جهوده ، أولاً وقبل كل شيء ضد التعصب الديني والطائفية وضيق الأفق القومي أو الوطني ودعا إلى خلق مجتمع لا تسوده الطبقات أو العنصرية واللونية واللغوية ، وما إلى ذلك من أوبئة المجتمع ، وكانت كشمير حينذاك تقاسي أنواعاً من الكروب من جراء الحكم الإقطاعي والسيطرة الاستعمارية ، وإن الأعباء الملقاة على عاتق الأدباء والكتاب والشعراء لثقيلة جداً ، وكان عليهم أن يثيروا في أذهان الناس شعوراً مليئاً بالحماس الوطني وغيره التخلص من ويلات المصائب العديدة التي كادت تكسر ظهورهم .

عهد النهضة

ومنح عهد الاستقلال في كشمير الأدب الكشميري حلة بيضاء ، إذ شد أزره ، لا لمجرد اتساع مواضيع الأدب وتحرره من القيود والعقبات . بل كانت هناك محاولات جمة لإحياء كل ما هو ثمين مدفون في آداب البلاد وثقافتها ومدنياتها ، وكان "نديم" أحد منظمي الحركة الثقافية الجديدة في كشمير ، وكما أنه في مقدمة الشعراء الشباب الغزليين الملهمين ، ، ولم يلبس أن وجد نفسه في وسط جماعة متجانسة من زملائه الشباب مثل : "روشن" و "راهي" و "بريمي" وغيرهم ، وحتى الشعراء الذين لهم سبق في الميدان نحو "عارف" و "آرزو" و "امبادار" و "فاضل" اقتفوا آثار التحول الحديث، ولبوا مقتضيات الوقت بلا اشمزاز أو فتور ، وسعى كلا الفريقين لخلق مجتمع حر من الأزمات وبعيد من الأهوال ، وبذل هؤلاء الشعراء والكتاب جهوداً جبارة للقضاء على العناصر المضادة للإصلاح الاجتماعي والديمقراطي . وفي متناول أيدينا من هذه الذخائر "شبابي ناضر" "نديم" م نماذج حية لهذا التطور الحديث في الاتجاهات الذهنية والأفكار الحرة والآراء العصرية ولبى الشاعر مطلب الوقت في السلام والانسجام الداخليين بطريق الاستفادة بكل ما هو قيم في آداب البلاد وثقافتها التي لها يد طولى ، قديماً وحديثاً ، وفي دعوة الناس إلى الألفة والود ومجد الماضي ، وأنشد "نديم" لأهل وطنه في مواضيع شتى مثل : الإصلاح الزراعي والتهديب الاجتماعي الداخلي

والخارجي ، ووصف الفلاح الحامل لمحراثه ونيره في الحقول ، كاتباً سطرًا ، أو راسماً خطاً حديثاً
في تاريخ مستقبل الشعب ، وعلى جبين وطنه الحبيب .

الفنون الجميلة في الهند

إن للهند صفحات مجيدة في تاريخ الفنون الجميلة كما كانت لها مكانة مرموقة في ميادين الفلسفة والعلوم منذ أقدم العصور ، وكانت الفنون الجميلة - سواء أكان منها الموسيقي أو الرقص أو التمثيل - تتعرعرع في أحضان الحضارة الهندية حتى وصلت إلى مدار الكمال ، ولكن اعتراها شيء من الركود حسب تقلبات الزمن وتطورات العصر ، ومنذ أن نالت الهند استقلالها واستردت سيادتها، بدأت توجه اهتماما بالغا نحو إحياء النشاط الثقافي في البلاد وأدركت الهند حكومة وشعبا أهمية تشجيع الفنون والآداب ونشرها بين أوساط الشعب بطريقة تتفق مع نهضة الهند الحديثة ومجدها الماضي في العلوم والآداب .

وقبل أن نلقي نظرة عامة على الخطوات التي اتخذتها الهند بعد الاستقلال للنهوض بالفنون الجميلة علينا القيام ببحث خاطف عن ميزات الفنون الهندية وتطوراتها .

الموسيقي

تمتاز الحضارة الهندية بروح الانجذاب والامتزاج ولم تظهر هذه الصبغة المميزة في أي فن من الفنون أكثر مما ظهرت في الموسيقي ، وإن اختلاط ألحان الموسيقي الهندية الكلاسيكية بألحان الموسيقي الفارسية أدى إلى ازدهار نوع خاص من الموسيقي التي تتميز بمحاسن كلا اللحنين . وأنواع الموسيقي في الهند متعددة متنسبة ، وكذلك الآلات الموسيقية . وأما ألحانها فهي تعد بمثابة مضرب الأمثال في الجودة والإيقاع الموسيقي .

ومنذ أن توطدت أركان الموسيقي الفارسية وألحانها في الهند أصبح كل منهما يتعرعرع في أرض الهند جنبا إلى جنب حتى صار ينبوعا واحدا بحيث يتدفق منه جمال الفن الموسيقي ويغترف منه الفنانون في طول البلاد وعرضا ، وإن الفضل الأكبر في إبداع الألحان الجديدة المركبة من الألحان الهندية والفارسية يرجع إلا الشاعر الصوفي الكبير " الأمير خسرو " ومقدرته الفائقة على إبداع

ألحان جديدة سجلها التاريخ بمداد م النور وهو الذي اخترع آلة "ستار" الشهيرة فعندما وجد "الأمير خسرو" الآلة الموسيقية الهندية الشهيرة "وينا" إلى ثلاثة أنوار فقط، وأما معنى ستار بالفارسية فذو أوتار ثلاثة ومن الألحان التي اخترعها أو مزجها خسرو "أيمن" و "ترانا" و "سازجري" و "سهلا" وما إلى ذلك من الألحان التي اشتهرت في القرون الأخيرة .

وأما "دهربدت" فمن النغمات الهندية القديمة والمعروفة مع أن "الخيال" التي ابتكرها حاكم "جونبور" السلطان حسين الشرقي فقد وضعت بطريقة "دهربت" القديمة . ومن الآلات الموسيقية الحديثة – غير المعروفة في القرون الأولى – في الهند "طنبور" و "القانون" الذي يشغف بها أهالي كشمير إلى يومنا هذا وأن "طنبور" لمن الآلات الموسيقية المعروفة في "إيران" فأخذتها الهند بإدخال تعديلات فيها بحيث تنفق وذوقها ، وجدير بالذكر أننا لا نجد ميدانا من ميادين الفنون الجميلة يبدو فيه الامتزاج الثقافي الهندي والأجنبي أكثر مما نجده واضحا جليا في الفن الموسيقي ، وأن التعاون الوثيق المستمر بين المسلمين والهندوس منذ عشرات القرون في هذا الميدان حيث لا مثيل له في تاريخ الثقافة العالمية ، ولما جاء المسلمون الذين نبغوا في الموسيقى الفارسية وأساليبها إلى الهند ، أدركوا محاسن الموسيقى الهندية وبهجتها ولم يلبثوا أن برعوا فيها أيضا .

الرقص

إن الرقص الهندي الكلاسيكي قد ازدهر أولا في المعابد بحركاته المختلفة التعبدية ولطافة ألحانه المليئة بالأناسيد الدينية والنغمات الإيقاعية البديعة ، ثم تطور إلى أساليب قصصية رمزية بحيث تقص حوادث معينة أو ترمز إلى وقائع خاصة . وأخيرات بدأت تتسرب إليها عناصر الترفيه ومفاتيح أجسام الراقصة أو الرقص ، ومن أهم الرقصات الكلاسيكية الهندية "بهارت ناتيام" المشهورة في جنوب الهند والتي هي من أقدم الرقصات الهندية ، ومنها "كتها كلي" الشائعة في ولاية "كيرالا" وهي رقص قصصي وتمثيلي قديم ، وكذلك الرقص "الكاناكي" الذي هو رقص إيقاعي شهير ،

والرقص "المنبوري" ومن ميزات الرقصات الهندية أنها ما زالت تحتفظ بقوتها التقليدية وصيغتها الشعبية وأساليبها القديمة .

التمثيل

يتضح من الأدلة التاريخية أن اليونان هم الذين بثوا روح الازدهار والحيل المسرحية في فن التمثيل وأخذوا بيده إلى مدارج الكمال ، ولكننا نجد كتابا هنودا في العصر القديم وضعوا مؤلفات عديدة قيمة في التمثيليات حتى رفعوا مكانة التمثيل الهندي إلى درجة لا تقل عما وصل إليه اليونان في العهود الغابرة . والكاتب الهندي الشهير "كاليداس" يقارن بأكبر كاتب من كتاب المسرح في اليونان القديمة .

ومن مشاهير الكتاب الهنود القدامى في التمثيليات "نهاسا" و "نهاسا نهودي" و "بانابهتا" ومن هذا حذوهم ، وقد اكتشف من عمليات البحث والتنقيب التي جرت في مصر في السنين الأخيرة أن الفن التمثلي كان شائعا ومألوفا في مصر منذ آلاف السنين قبل المسيح . وأن التمثيل الخاص المعروف باسم "ممفت" كان قد بلغ مدارج الكمال والشيوخ في مصر قبل أربعة آلاف سنة للميلاد ، ويقال بأن التمثيليات الشائعة في كل بابل و "نينوا" ما كانت تخلو من المميزات الدينية بحيث لا يخلو عيد أو اجتماع ديني لدى أهالي "بابل" من التمثيل . ويتضح من كل هذا وذاك أهمية الفن التمثيلي قديما حيث أصبح جزءا من تاريخ الأمم الغابرة كما يحتل الفن التمثيلي في يومنا هذا مكانة مرموقة في كل بلد من البلدان الراقية .

الانتعاش الثقافي والفني في الهند

يرجع الفضل الأكبر في نهضة الفنون الجميلة في الهند في أواسط القرن التاسع عشر إلى التطورات الحديثة التي ظهرت في المجتمع الهندي أكثر مما يرجع إلى مساعدة الحكومات أو مسانبتها ، ومما لا ريب فيه أن الفنون الجميلة تعتمد - أولاً وقبل كل شيء - في نشأتها ونهضتها على الشعب وتستمد قوتها ونشاطها من المجتمع ، فلا تتقدم تلك الفنون ولا تتراجع إلا في ظل نظام ديمقراطي يمثل المظهر الشرعي الحقيقي لآمال الشعب وآلامه وأمانيه وميوله . وبناء على هذا المبدأ العام أصبح لزاماً على الحكومة الجمهورية الديمقراطية التي قامت في البلاد عقب الاستقلال أن تحمل على عاتقها مهمة إحياء هذه الفنون والانتعاش الثقافي بصفة عامة ، فأدركت مسؤوليتها في هذا الميدان إدراكاً كاملاً ، ومن أهم الخطوات التي اتخذتها الحكومة والمنظمات الفنية والثقافية الأخرى في البلاد للنهوض الفني والبعث الثقافي :

- ١ - تشجيع تبادل الأفكار والآراء وتحسين الأساليب الفنية في الموسيقى والرقص والتمثيل بين مختلف أنحاء البلاد وشتى طبقات الأمة .
- ٢ - نشر المصادر الخاصة بالفنون الجميلة الهندية ومن ضمنها الكتب والقواميس المصورة ومعاجم تحتوي على الاصطلاحات الفنية .
- ٣ - تشجيع النشاط الثقافي المحلي في المدن والقرى في إقامة المهرجانات للرقص والتمثيل والموسيقى وعقد حلقات دراسية للبحث حول الفنون الجميلة .
- ٤ - إسداء التسهيلات اللازمة للأبحاث في ميادين الموسيقى والرقص والتمثيل وإنشاء المتاحف والمكاتب لهذا الغرض .
- ٥ - إنشاء معاهد التربية والتدريب للممثلين والموسيقيين والفنانين ونجوم المسارح .
- ٦ - إقامة مسارح الأطفال ومسارح الميادين المفتوحة ومسارح ريفية خاصة .

٧ - اتخاذ التدابير اللازمة لإحياء وحماية الرقصات والموسيقى الشعبية في شتى مناطق البلاد ولازدهار الموسيقى المدنية والعسكرية وغيرهما من الأصناف المختلفة للموسيقى .

٨ - تعزيز التبادل الثقافي والفني بين الهند وسائر بلدان العالم .

٩ - إنشاء مراكز مسرحية في مقاطعات الهند المتعددة على أسس اللغات المحلية وإيجاد التعاون والتضافر بين تلك المراكز المختلفة .

١٠ - توزيع الجوائز ومنح الرتب للفنانين تقديرا لما أضافوا إلى مكتبة الفنون الجميلة أو لما قاموا به من خدمات جليلة خالدة في ميادين الموسيقى والرقص والتمثيل .

أكاديمية الفنون الجميلة للهند

انعقد في عام ١٩٤٥ بينغال مؤتمر للنادي الآسيوي الملكي الذي يتألف من العقول المتنورة والرؤوس المفكرة . واتخذ فيه قرار خاص حول إحياء الفنون الجميلة وإنهاضها في البلاد ، وناشد النادي المذكور في قراره هذا الحكومة أن تنشئ هيئة ثقافية مستقلة لتقوم بمهمة القيام بإنعاش الفنون وإحياء الآداب في جميع نواحيها ، وكان من المطلوب أن تتألف تلك الهيئة من ثلاث أكاديميات : -

١ - أكاديمية العلوم والآداب لتقوم بالبحوث في اللغات الهندية والآداب والفلسفة والتاريخ .

٢ - أكاديمية الموسيقى والرقص والتمثيل .

٣ - أكاديمية الفنون لتشرف على نهضة الفنون التطبيقية والمعمارية والخطية وما إلى ذلك .

وحول هذا المشروع القراري أولا إلى لجنة استشارية لوزارة المعارف الحكومة المركزية ، فأوصت اللجنة بعد النظر فيه أن الحكومة تتحمل نصف مصاريف هذه الأكاديميات ، بينما تحمل

حكومات الولايات والإمارات النصف الباقي . ووافقت الحكومة على تلك الوصية من حيث المبدأ ، وأرجأت التنفيذ بسبب المشاكل الاقتصادية وظروف أخرى كانت تحيط بالبلاد حينذاك ، وبعد أن نالت البلاد حريتها في عام ١٩٤٧ عقد مؤتمر خاص للفنون بكلكتا عام ١٩٤٩ وآخران في دلهي أحدهما للبحث حول الموقف الراهن في ميادين الرقص والتمثيل والموسيقي والآداب في البلاد وثانيهما في مسألة العلوم والفلسفة ، وشكلت هذه المؤتمرات عدة لجان لدراسة شتى النواحي اللازمة لإحياء العلوم الجميلة والعلوم والآداب في ضوء التطور الحديث والنهضة الجديدة . فأوصت هذه اللجان الحكومة بضرورة إنشاء تلك الأكاديميات الثلاث الواردة في قرار النادي الآسيوي في عام ١٩٤٥ .

وفي عام ١٩٥٣ انشأت الحكومة الأكاديمية الأولى منها باسم أكاديمية الموسيقي والرقص والتمثيل ، وتهدف هذه الأكاديمية إلى إحياء الفنون الجميلة وإدخال تحسينات لازمة فيها ورفع مستواها . وتقوم الحكومة المركزية بتحمل العبء الرئسي لتلك الأكاديمية وتزويدها بمبالغ ضخمة من المساعدات المالية ، بينما تقوم الأكاديمية بمهمة إحياء تقاليد الفنون الجميلة الهندية والاحتفاظ بها ونشر هذا التراث الثمين بين أوساط الشعب ، وقد أصبحت الفنون الجميلة في عالمنا الحاضر مظهرا حيا لميول الشعب وأمانيه كما أن لها أهمية كبرى في نشر روح الانسجام والود الوثام بين الأفراد والجماعات وإيجاد روابط ودية ثقافية وتوطيد أواصر المحبة والتفاهم بين الشعوب .

المصادر والمراجع

(١) في الإنجليزية

- 1 – “Linguistic Survey of India” by Sir George Johnson.
(الإحصاء اللغوي الهندي)
- 2 – “Indo – Aryan And Hindi” by Dr. Santi Kumar Chaterjee.
(الهندية والجنس الآري - الهندي)
- 3 – “A Grammar of Hindi Language” by Keelag.
(قواعد اللغة الهندية)
- 4 – “Origin and Development of Bengali Language” by S.K. Chaterjee.
(نشأة اللغة البنغالية وتطوراتها)
- 5 – “Phonologi of Punjabi” by B.D. Jain.
(علم الأصوات البنجابية)
- 6 – “Hindustani Phonetics” by Dr. Mohiuddin Qadri “zor”.
(علم الأصوات للهند ستانية)
- 7 – “Bhirg Bhasha Grammar” by M. Ziauddin.
(قواعد بهرج بهاشا)
- 8 – “Philological Lectures” by R.I. Bhandarkar.
(محاضرات علم اللغات)
- 9 – “Introduction to Comparative Philology” by P.D. Gay (Poona).

(ب) في الهندية

- ١ - "هندي بها شاكا اتيهاس" (تاريخ اللغة الهندية) دهيرا بندراورما .
- ٢ - "برد بهاشا وياكرن" (قواعد لغة بهرج) .
- ٣ - "كرامين هندي" (اللغة الهندية الريفية) .
- ٤ - "هندي بهاشا اور ساهتيا" (اللغة الهندية وأدبها) شيام سندرداس .
- ٥ - "بهاشاوكيان" (علم اللغات) - نفس المؤلف .
- ٦ - "الهندية وأردو - وهندستانية" - بدم سنغ شرما .
- ٧ - "هندي بر فارسي كابر بهاو" (أثر الفارسية على اللهندية) واجباي .
- ٨ - "برج بهاشا وياكرن" واجباي .
- ٩ - "سامانيا بهاشاوكيان" (مختصر علوم اللغات) - بابورام سكسينا .
- ١٠ - "سنت كبير" (الحكيم كبير) دكتور رام كما رورما .

(ج) في الأوردية

- ١ - "هند ستاني لسانيات" (اللغات الهندية) لمحي الدين قادري "زور" .
- ٢ - "مقدمة آب حيات" : لمحمد حسين آزاد .
- ٣ - "داستان تاريخ أردو" (مقدمة تاريخ أردو) : لحامد حسن قادري .
- ٤ - "دكن مين أردو" (أردو في الجنوب) : لنصير الدين هاشمي .
- ٥ - "فارسي مر أردو كا أثر" (أثر أردو على الفارسية) لغلام مصطفى .
- ٦ - "أردوئي قديم" (أردو القديمة) لشمس الله قادري .
- ٧ - "أمير خسرو" لمحمد وحيد ميرزا .
- ٨ - "نقوش سليماني" (النقوش السليمانية) لسليمان الندوي .
- ٩ - "دريائي لطافت" (بحر اللطافة) لإنشاء الله خان .
- ١٠ - "تاريخ زبان أردو" (تاريخ اللغة الأوردية) دكتور مسعود حسين .

شارك في كتابات معاصرة

الفريد فرج ، ثروت أباطة ، وعبد الحميد جوده السحار ، محمود تيمور ، نجيب محفوظ ، يحيى حقي ، يوسف الشاروني ، أمين يوسف غراب، لطفي الخولي ، محمد عبد الحليم عبد الله ، د. يوسف إدريس ، سعد الدسن وهبة ، فتحى رضوان ، رجاء النقاس ، كال الملاح ، يوسف فرنسيس ، غالي شكري ، د . عبد الغفار مكاوي ، د.نعيم عطية ، نادية كامل ، يعقوب الشاروني ، جلال العشري ، شفيق مقار ، محمود دياب ، إسماعيل ولي الدين ، عبد المنعم سليم ، عزت الأمير ، صلاح طنطاوي ، عادل غبريال ، إقبال بركة ، محمد لحديدي ، مكرم فهيم ، بكر درويش ، أحمد مسعود ، صلاح عبد الكريم ، مصطفى حسين ، جورج أحمد البهجوري ، فاروق شحاته ، كمال الجويلي ، حملى التونسي ، محمد حجي ، صبحى الشاروني .

صدر عنها

قرشا

- | | | |
|----|---------------------|----------------------------------|
| ٢٠ | المجموعة الأولى | ١ - قصص قصيرة |
| ١٢ | يعقوب الشاروني | ٢ - أبطال بلدنا |
| ١٥ | صمويل بيكت | ٣ - كل الساقطين |
| ٢٥ | المجموعة الثانية | ٤ - قصص قصيرة |
| ١٠ | دكتور نعيم عطيه | ٥ - الأصدقاء والفتى الشجاع |
| ٢٠ | عزت الأمير | ٦ - رغبة سرية |
| ١٥ | قصص عرض عبد العال | ٧ - الليلة الأخيرة |
| ١٠ | إبراهيم البعثي | ٨ - دموع من الدم |
| ١٥ | الجزء الأول | ٩ - مسرحيات فصل واحد |
| ٢٠ | محمود عوض عبد العال | ١٠ - سكرمر |
| ١٥ | إسماعيل ولي الدين | ١١ - حمام الملاطيلي |
| ٤ | السيد حافظ | ١٢ - كبرياء التفاهة |
| ٢٥ | صبحى الشاروني | ١٣ - الفنان صلاح عبد الكريم |
| ١٥ | صلاح طنطاوي | ١٤ - نصف مليون دقيقة في استراليا |
| ١٥ | إبراهيم البعثي | ١٥ - تحت السلم |
| ١٥ | يوسف الشاروني | ١٦ - الخوف والشجاعة |
| ١٥ | الجزء الثاني | ١٧ - مسرحيات فصل واحد |
| ٢٥ | صنع الله إبراهيم | ١٨ - تلك الرائحة |
| ١٥ | إقبال بركة | ١٩ - ولنظل إلى الأبد أصدقاء |
| ١٠ | إسماعيل ولي الله | ٢٠ - الأقمرة |
| ٢٠ | محمد الحديدي | ٢١ - الجدران |

١٥	أحمد مسعود	٢٢ – الأوبرا العالمية
٨٠	عادل غيريال	٢٣ – فن صياغة الحلي
٥٠	د . محي الدين الألواي	٢٣ – الأدب الهندي المعاصر

قريبا في سلسلة كتابات معاصرة

١٠	مكرم فهم	* الخروج من الدائرة
١٥	بكر درويش	* العشق القاتل
١٥	صبحى الشاروني	* أطلى الكلام
٢٥	حسن محب	* حلم الليل والنهار
١٥	بكر درويش	* قضية محمود أمين سليمان
١٠	سمعان اسكندر	* سنوات بين الكتب
٢٥	صبحى الشاروني	* الرسم العاري عند محمود سعيد
١٥	محي الشريف وآخرون	* قصص من النوبة

CONTEMPORARY INDIAN LITERATURE

An Analytical Study of Major
Indian Languages and Literatures

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

Contemporary Writings
Oevres Contemporaines

First Edition
Cairo – 1972

Dr. MOHIADDIN ALWAYE

Dr. Mohiaddin Alwaye was born and brought up in “Veliyathunad” village near the renowned town of Alwaye in “Kerala” State of India.

He was born on June 1, 1925. Having completed his primary education under the guidance of his venerable father, Sheikh Mackar Moulavi, who was a revered scholar and preacher. Mr. Alwaye continued his studies in leading Islamic and oriental institutes in India. After obtaining M.F.B Degree from the BSA College in S. India. Mr. Alwaye obtained the title of “Afzalul Ulema” in 1949 from the Faculty of Oriental Studies of Madras University. Soon he was appointed as a Lecturer in the R.U. A. college in Kerala.

In 1950, Dr. Alwaye was delegated, for higher studies, to the Al-Azhar University of Cairo. He joined the Specialization course, leading to the degree of M.A. of the Faculty of Theology. He obtained in 1953 “Al-Alimiyyah” Degree (M.A.) with 93% of the total marks. Al-Azhar sources said that never in the history of the old University a foreign student had scored such a record. Recognizing his merits the University awarded him. Scholarship and he also got Stipend from the Indian Council for Cultural Relation.

During his stay in Egypt, Dr. Always undertook extensive literary activities, including contributions of articles to newspapers and magazines on various subjects. He also wrote some books. Dr. Alwaye was the Chief Editor of “Al-Bo’outh” Magazine, organ of the foreign educational missions in Egypt. On account of his various contacts with professors and other scholars and various social cultural organizations he could obtain a good knowledge and experience about education and cultural activities in Wes Asian countries. Also he delivered manuy lectures in various places in Egypt, about Modern India and her Developments in different walks of Life.

On his return to India from Cairo in 1955, Dr. Alwaye was appointed in the Arabic Unit of the External Services of All India Radio, New Delhi. In the meantime, he continued his

literary activities in the Indian Council for Cultural Relations and Sahitya Academy of India.

During his stay in Delhi, the Capital of India, Dr. Alwaye acquired extensive experience in the cultural and literary affairs of various states and peoples of India. He also became acquainted with various Indian religious, cultures and literature.

He worked for stronger literary and cultural relations between the Indian and Arab people which were duly recognized by the concerned bodies.

Again late in 1963, Dr. Alwaye returned to Cairo, accompanied by his family to complete his studies of Ph.D. Degree in the University of Al-Azhar. He intended to obtain full mastery of Arabic literature and to build up an Indian family well versed in Islamic culture and nourished in the Arabic language and literature, in order to contribute to the service of Islamic studies and Arabic languages in the Indian community.

When Mr. Alwaye decided to return to Egypt, with his family, the great Indian philosopher, Dr. S. Radhakrishnan, (the then president of India) financed the air trip cost of him and his family, in appreciation of his literary activities and Venerating the grandness, of Al-Azhar.

Mr. Alwaye joined the Higher Studies Course in Philosophy at the University of Al-Azhar. He passed the "Specialized Examination" in July 1965, with "Excellent" grade.

Since 1964, Dr. Alwaye served as a lecturer of Islamic Studies in the Medical Faculty of the University of Al-Azhar. Later, in 1965, he was appointed to teach the same courses in Al-Azhar's Girls College.

On the request of those colleges, Dr. Alwaye has brought out a textbook for Islamic Studies in English, the "Essence of Islam" in two parts. The book deals with the

principles of Islam and refutes some suspicions raised against it, as well as giving a beautiful introduction of the basic tenets of the Holy Quran, on which Islam is based.

Dr. Mohiaddin Alwaye also served as member of the office of His Eminence Sheikh Ahmed Hassan Al-Bakouri, Rector of Al-Azhar University. In 1968 he was member of the Examination Board, to select the delegates being sent by Al-Azhar to West Asian countries.

Since 1964 Dr. Alwaye has been Editor of the English Section of "Al-Azhar Magazine", which is the organ of Al-Azhar. Dr. Alwaye contributed to many Arabic periodicals as well as edited regular topics in some leading journals, some of which are as follows:

"Al-Azhar Magazine" (Organ of Al-Azhar) :

- Eastern philosophy
- Arabic Works of Indian Scholars.

"Mimbar Al-Islam" (Organ of the Supreme Council for Islamic Affairs) :

- Spotlight on the Islamic History
- Palestine and the Muslim world."

"Al-Resala" (Published by the Ministry of Culture, UAR, and edited by the famous writer Ahmed Hassan Zayyat) :

- Contemporary Eastern and Indian Literatures.

"Sawt El-Shark", (Published by the Information Services of India, Cairo)

- Indian topics
- Muslim personalities of India.

Some of his works are :

Arabic:

1. Islam and World Evolution
2. Islam and Human problems.
3. Islamic Call and its developments in India.

4. Islam and Life.
5. 'Chemmeen' (Translation of an Indian novel, published by the Indian Council for Cultural Relations, New Delhi).

Urdu:

6. 'Arab Dunya' (Published by Nadwathul Musannifeen, Delhi)

Malayalam :

7. 'Arab Lokam' (the Arab world)
8. Albirunie's India (Translated from Arabic, and published by the Central Sahitya Academy of India, New Delhi).

English :

9. 'Essence of Islam', part I and II (Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo)
10. 'Al-Azhar'. An Introduction (booklet).

In addition to this new book in Arabic "Contemporary Indian Literature", which contains an analytical study of all major Indian languages and literature. Dr. Always is engaged now in preparation of two books, the first being about Ancient Oriental Religions and second about the contemporary Eastern literature. The two books are intended to serve as references for students of religions and those interested in the cultures and literatures of different nations.

In 1971 Dr. Mohiaddin Alwaye had obtained his Ph.D. Degree from Al-Azhar University, on his Thesis 'Islamic Call and its Developments in the Subcontinent of India'. This thesis shall usher further studies in the ancient religions, revealed and ethnic, for comparative studies of religions, of the significant role played by the Arabs to expound the Islamic call in India and neighboring countries in various times and ages. In fact, the thesis which was the first attempt, of its kind, on the subject, shall promote better understanding between Indian and Arab intelligentsia, and shed light on the present and future of Islam in New India.

Since 1970, Dr. Alwaye has been appointed as the Editor of the News Magazine “Soutul Hind” (Voice of India) published by the Embassy of India, Cairo.

No doubt that his stay in Cairo, capital of the Arab and Islamic world, helped Dr. Alwaye to acquire further knowledge and experience of the cultural and educational affairs of the Arab world, and its Universities and Seats of learning. It also privileged Dr. Alwaye to strengthen his personal relations with Scholars, Writer and Masters of different Schools of Thought.

PREFACE

It was said in the past that “India is like a small world in itself”, containing different races, religions and languages. It has a vast area, almost like that of a continent. In fact the whole of the European continent can be fitted into the area of the country called India. It is twenty times the size of Britain. India is considered the first country having a large number of religions and languages. She is the second largest in population and third amongst the countries of the world in the number of her Muslim population. The study of a nation’s languages, literatures and arts plays a vital part in understanding their ways of thinking, religious ideas and characters.

Since a long time India has had many different races, cultures and civilizations. The original races of human beings are still found existing in India, a part of it the three preliminary origins: the Aryans, the Mongoleids and Negro. The following category contains:

1. The origin race before the “Dravidians”, distinguished with short figure, wide nose, living in tribal areas.
2. Dravidy race, distinguished with short figure, black skin, thick hair and long head, living in South India (Madras, Andhra Pradesh, Kerala and Mysore).

3. Aryan race, centralized in North India especially in Kashmir, Punjab and Rajputana distinguished with long figure, fair skin, and small nose.
4. Turkish – Persian race, living in west of Indus River (North-West frontiers areas and Baluchistan etc).
5. Sati-Dravidian race, centralized in east of Indus River, e.g. Sind, Gujrat and the western part of the Indian Continent, distinguished with long head and short nose.
6. Arian – Dravidian race, and it is known as “Hindustani”, usually living in Central India, Bihar and East Punjab, distinguished with long head, brown colour and medium height.
7. Mangolian race, living in Assam, Himalaya and some place in Kashmir and Punjab, distinguished with big head, yellow skin and short figure.
8. Bengalian race, its recent centre is Bengal and Orissa, distinguished with big head, dark skin and wide nose.

This variation of races and communities created diversity in the languages and accents of the country. The last linguistic official census of 1931, pointed out that there are 225 living languages in the country, represented in 4 main categories of human accents : Asteria, Tibatian, Dravidian and Indo-Aryan.

In 1947 the Indian Sub-continent became independent from British Rule and it was divided into two independent countries: India and

Pakistan. Very soon, the Indian Republic realized the importance of progress in the fields of literature, culture and science in developing the social and political standard of her people. Thus, India took vast and quick steps in the fields of developing literatures and arts, spreading cultural awareness among the public and reviving past glory of India in the sphere of knowledge, philosophy, and literature.

The constitution of India recognized 14 languages as the official and national languages of the country, provided that the 'Hindi' language, with the 'Deve-Nagri' script would replace English for official affairs of the State, within a suitable time, with the approval of the Central Parliament and State Governments. Following are the 14 constitutional and regional languages:

1. Sanskrit	2. Hindi
3. Urdu	4. Assamese
5. Bengali	6. Gujrati
7. Kannada	8. Kashmiri
9. Malayalam	10. Marathi
11. Oriá	12. Punjabi
13. Tamil	14. Telegu

It is also recalled that each of them is a living - independent language and having its own literature, grammar, style and developing history. These languages and literatures represent the ways of life of the

people of India in different spheres. These languages also contain a rich treasury of knowledge, literature, art, culture and civilization, which is indispensable for any researcher or student of these subjects.

It is not exhausted, if I say that it is a matter of sorrow and astonishment that the Arabic Library has not a comprehensive book, written in a planned and systematic way, dealing with the detailed history, development and literatures of India, except some translated stories, or some articles published here and there mentioning some aspects of Indian literature or some well known Indian personalities.

The Frontiers of the States of Indian Republic are organized mainly on the basis of regional languages.

Keeping in view, the urgent need of a book in Arabic language, dealing with the languages – history, development and literatures – of India, also to facilitate the career of research in different languages and literatures, I decided to prepare a book in simple and modern Arabic, containing 14 major languages recognized by the Indian Constitution as the official and national languages of Indian Republic. It was not an easy task, due to the great differences between these languages, each of them itself is entitled to be a subject for a book. Moreover, the sources and references of this subject are scattered in many languages. Above all my persistent desire is that this humble

effort should be a new addition to the Arabic Library, and acceptable to the men of Letter and Knowledge.

Beside my personal experience, and experiments, through direct contacts with the writers and authors and through reading the literatures of these languages, I used many original general references in Indian and foreign languages (as it is obvious from the index of the references). I have also tried to explain the regions covered by each language with the help of the latest map of the Indian Republic.

(Dr.) Mohiaddin Always